الشخصيّة الورائيّة

وأثرها في تأسيس الدول

نماذج من التاريخ الإسلامي

تأليف:
علي بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

الشخصية الوراثية

وأثرها في تأسيس الدول

نماذج من التاريخ الإسلامي

تأليف:

علي بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري



الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م

عنوان المؤلف:

هاتف: ٤٤٤١٢٣٦(٩٧٤)، فاكس: ٤٤٤١٢٣٧(٩٧٤)

ص.ب: ٣٩١٩٤ - الدوحة، قطر

البريد الإلكتروني:

تمت أعمال الطباعة والصف والتصميم في:

إصدارات



الإهداء

إلى الشخصية الوراثية وراء تأليف هذا الكتاب..

ماجد محمد الأنصاري..

إلى من يشاركونني عشقي للتاريخ:

د. محمد صالح تلفت

أحمد غانم الكواري..

ناصر محمد النعيمي..

أهدي هذه الكلمات.. عرفانا.. وحبًا..

إهداء خاص..

إليكما أهدي كل الكلمات التي أكتبها دائمًا..

المرأة التي تمدني بالحياة... أمي

والمرأة التي تدفعني للحياة... زوجتي

شُكْرٌ خاص..

أقدِّم شكري لأخي العزيز/ جاسم محمد عبد الله الأنصاري، الذي كان عيني التي نظرت إلى هذا الكتاب.. كما كان دائمًا شخصي الذي أنظر من خلاله.

المقدمة

"الكتابة في التاريخ مثل الجري حافيًا في حقل من الأشواك"، فالكاتب في التاريخ لا يخلو كلامه من نقل كذب، أو ظلم أحد، مهما كان متوثِّقًا، إلا أنَّ السؤال يظل عن الحل: فإن لم يبحث أحد في التاريخ ضاع.. وإنْ ضاع ضاع المستقبل.

من هنا أسوِّغ لنفسي الكتابة، ولا أظن أنَّها تحتاج إلى أنْ يكون الإنسان متخصصا ليكتب.. بل تكفيه في ذلك طلب المعرفة، والقرب من المعلومة، وهمُّ البحث، وقدرة القلم.

ولا أعتقد أنَّ الكتابة في التاريخ القديم بلا تحليل تفي بالغرض، فالمؤرخون العظام لم يتركوا شيئًا إلا نقلوه، لذا فإنَّ الكاتب اليوم عن القديم إمَّا أنْ يكون محللا، أو مستنبطًا، أو مختصِرًا، وأنا أبحث عن أحد هؤلاء.

أكتب في الورقات القادمة رجاءً في الوصول إلى حقيقة، مع كون هذا الكتاب جاء وليد طلب من صديق عزيز، ونتيجة لنقاشات مطولة مع أصدقاء أعزاء، إلا أنَّه يظل في ميزان احتمالية الصواب والخطأ.. فهو جهد إنسان.

أتنـاول في هـذا الكتـاب في فـصلين، مـسألة "الشخـصية الوراثية"، وهي أمر لمسته في استقرائي البسيط للتـاريخ، فعقـدت الفصل الأول حول سماتهـا وأشـكالها وأسـرارها وعلاقاتهـا، ثـم لأزيـد الموضـوع وضـوحًا عقـدت الفـصل الثـاني علـى نمـاذج مـن الشخـصيات الوراثيـة، وقـسمته إلى بـابين: ففـي البـاب الأول تناولـت شخـصيات وراثيـة كـان لهـا تـأثير علـى عمـوم الأمـة، في الدولة الإسلامية الكبرى.. دولـة الخلافـة، وعقـدت البـاب الثـاني حول شخصيات وراثية كان لها تأثير في الدول الإسلامية المندرجة تحت دولة الخلافة.. أو المنفصلة عن دولة الخلافة.

ولم أهتم في الكتـاب بـشرح أو تطويـل، إذ كـان همـي هـو تناول الشخصية من حيث كونها وراثية، وكيـف وصـلت إلى هـذا المكان، وما هي تحولاتها.

ولم أقم بتوثيق المعلومات في الهامش، إذ اكتفيت أنْ أتوثق من المعلومة، وذلك لأن المجال لا يتسع للتوثيـق في هـذا الكتـاب، فحجمـه محـدود، إلا أنّـي أثبـتُّ المراجـع في آخـره إحقاقًـا للحـق، ولكي تكون بابًا يستطيع من يرغب في التوسع الولوج من خلاله.

لقد كان همي في هذا الكتاب.. أو الكتيب أنْ أوصل الفكرة مختصرة، وأسأل الله أن أكون وفقت في ذلك، ولا بد أنْ تلي هذه الفكرة توسيعات فيها أو من خلالها، ومن يدري.. لعل الله يوفق إلى جديد في القديم، وما توفيقي إلا بالله.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

علي عبد الله إبراهيم الأنصاري

الدوحة:

الثلاثاء:

٥/ ذي الحجة/ ١٤٢٧ من الهجرة

٢٦/ديسمبر/٢٠٠٦ من الميلاد

الفصل الأول:

الشخصية الورائية

التحليل.. السمات.. الصفات

تمهيد

في الحديث عن قيام الدول الكبرى ونشأة الأنظمة يتركز الكلام حول الشخصيات الرئيسية فقط، بينما تتساقط شخصيات أخرى قد تكون أكثر تأثيرًا، بل وقد تتمتع "بالسببية" في إنشاء، أو قيام، أو بقاء الأنظمة. وقد تحمل هذه الشخصيات السوءات والأخطاء، بينما تتمتع الشخصية الرئيسية بالسمعة الحسنة.

هذه الشخصيات "المنسية" أو "الممسوحةِ الدور" هي ما أسميه بالشخصية الورائية، وهي مدار حديثي هنا، فما هي الشخصية الورائية؟ وما هو دورها؟ وكيف نحدد إن كانت هذه الشخصية موجودة في هذه الدولة أم لا؟ وما هو تأثيرها؟

أمور كثيرة تلك التي تطرح حول الشخصيات الورائية.. ولكن ما أستطيع أنْ أُأَكِّدَ عليه أنها موجودة فعلاً.. وفي أكثر الدول عظمة في التاريخ.

الشخصية الورائية

الشخصية الورائية : هي شخص، أو مجموعة، أو جماعة، أو أسرة، تظهر في مكان معين.. وفي وقت معين.. لتحمل على كاهلها تأسيس نظام أو دولة.. ثم تضمحل بطريقة أو أخرى ليبقى النظام الذي دعمت تأسيسه هو الظاهر.. إذ أنَّها تقوم بالأعمال التي لا يستطيع النظام القيام بها، إما لشناعتها، أو لقوة التغيير الإصلاحي فيها، أو لكون معارضي القيام بها كثر، كأعمال الاغتيالات.. الإبادات الجماعية.. والقضاء على الثورات الكبرى، والأعداء أو المنافسين السياسيين، أو أعمال الإصلاح السياسي في مجتمع تكون طبقته الحاكمة من المعارضين وبشدة لهذا الإصلاح.

ويجب أن نفرق في الحديث بين الشخصية الورائية والشخصية الرئيسية، فالشخصية الرئيسية ببساطة هي الحاكم.. أو الأمير.. أو الملك، أما الشخصية الورائية فهي لا تصل لدرجة المُلْك، أو الحكم، وتكون في العادة من الوزراء أو الولاة الفرعيين أو القادة أو العلماء.

فعبد الملك بن مروان هو الشخصية الرئيسية أو الأمامية، والحجاج بن يوسف الثقفي هو الشخصية الورائية التي قامت بأكبر دور في توطيد دولة بني مروان، وتأسيس نظامها، والقضاء على منافسيها، بل وتسيير جيوش الفتوحات تحت اسمها.

ويجدر بنا أن نشير إلى نقطة رئيسية هي: أنَّ الشخصيات الورائية لا تظهر في الدول التي تتمتع بالنظام الشوري؛ وحكم الجماعة، فهي لم تكن موجودة في دولة الخلافة الراشدة.. بل ظهرت أول ما ظهرت في الدولة السفيانية الأموية، حيث كان الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة، الشخصية الورائيَّة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في تولية يزيد بن معاوية لولاية العهد، وأخْذِ البيعة له من أكثر الأماكن ضراوة على الأمويين.. من العراق، ولا نستطيع أن نقول أنَّها كانت موجودة في الفترة المكية، مع أنَّ أبا بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب عليهم السلام، قاموا بأدوار تشابه أدوار هذه الشخصية في حماية المسلمين، إلا أنَّها لم تكن في دولة كاملة الكيان، ولم يكن المقصود بها إثبات ولاء للرسول ﷺ، بل كانت من منطلق إيمان كامل بالرسالة.

سبب التسمية

أسمَيْت هذه الشخصية بالورائية لا لكونها تختفي وراء الشخصية الرئيسية فحسب، بل لأنها أيضًا تقوم بأعمال ورائية.. الأعمال التي تَعْبُرُ مِنْ خلال الطرقات الخلفية.. الأعمال التي تكون فيها الشخصية الرئيسية شخصية مستترة.. أو تجهل ما يحدث، فإذا علمت به رفضته، كرفض يزيد بن أبي سفيان لمقتل الحسين بن علي رضي الله عنه.

وبغض النظر عن كون يزيد يعلم بذلك.. أو أمر به.. أو يجهله، فهو المسؤول "حسب الهرم الإداري" عن مقتل الإمام الحسين، مما لا يُعْفِيه - رغم أنَّه لم يباشر العمل بنفسه- من المسؤولية، والتي ستنتفي لو كان بينه وبينها شخصية ورائية متكاملة تحمل وزر قتل الحسين.

الشخصية الورائية والشخصية الخفية

في كثير من الدول.. وفي فترات الضعف تظهر في القيادات شخصيات تتحكم بالدولة وتحرك الحاكم كما تشاء، ليلبي مصالح معينة.. وتكون هذه الشخصية خفية.. هي من يدير الأمور ويحرك الدولة.. بل ويغيِّر الحاكم متى أراد أن يخرج عن إرادتها، هذه الشخصية الخفية تختلف تمامًا عن الشخصية الورائية.. ولو أنها تتفق معها في بعض الجوانب.

فصلاح الدين الأيوبي كان شخصية خفية في عهد العاضد بالله الفاطمي، والمنصور محمد بن أبي عامر الذي كان الشخصية الورائية في عهد الحكم بن هشام الأموي الأندلسي، وأوائل عهد هشام بن الحكم، أصبح الشخصية الخفية في دولة بني أمية في الأندلس، بل وامتد نفوذه إلى أنْ أسس الدولة العامرية، التي حكمها من بعده ابنه عبد الملك.

وهناك فروق بين الشخصية الورائية والشخصية الخفية، منها مثلاً أنَّ الشخصية الورائية تدين بالولاء للشخصية الرئيسية (الحاكم)، والذي يكون أقوى منها عادة، إلا أنَّها تمتلك سلطة

مطلقة بالحديث عنه، والتحرك باسمه، أما الشخصية الخفية، فيكون الحاكم هو من يدين لها بالولاء، ومن يقع تحت رحمتها، ولا يحرك ساكنًا إلا بموافقتها.

والشخصية الورائية هي من يخسر في أي صراع ينشب بينها وبين الحاكم، أما الشخصية الخفية فهي التي تقضي على الحاكم عادة في الصراعات، إذ أنَّها تتحكم في مقاليد الأمور بدلاً عنه، وما الحاكم بالنسبة لها إلا صورة، كما حدث مع صلاح الدين الأيوبي حين قضى على الفاطميين، وكما قضى ابن أبي عامر على هشام، وحبسه في قصره حين حاول التحرك ضد رغبته ومع رغبة الصقالبة.

والشخصية الورائية تحمل في رحيلها إلى التاريخ الوجه الأسود للحاكم، ويبقى هو الصفحة البيضاء، كالحجاج وعبد الملك بن مروان وابنه الوليد، أما الشخصية الخفية فتحمل هي النصاعة والبياض لنفسها، كما سطر صلاح الدين الأيوبي، والمنصور بن أبي عامر اسميهما في التاريخ بأعرض الأقلام.

الشخصية الورائية والبطانة

لا تُعَدُّ الشخصية الورائية بطانة للحاكم، أو من بطانته، إذ أنَّ البطانة تتكون من مجموعة أشخاص، مستشارين.. وتنفيذيين، لا يتحرك أحدهم باسم الحاكم.. والشخصية الورائية تكون في الأغلب شخصًا واحدًا أو مجموعة تنتمي لنظام معين.. أسري كان.. أو ديني، تختلف عن البطانة.. وقد تكون موجودة مع وجود البطانة.. إلا أنَّها تكون أقوى منها في الجانب التنفيذي.. وأقرب منها في الجانب الاستشاري، فبطانة عبد الملك بن مروان كانت موجودة كعبد العزيز بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وبشر بن مروان، وَرَوْحُ بن زِنْبَاع.. صاحب الشرطة، مع وجود الحجاج، إلا أنَّ الحجاج كان أحظى عنده حتى من إخوته.

وكذلك ابن أبي عامر، فقد كان موجودًا مع وجود الحاجب المصحفي وأبنائه إلا أنه كان أقرب في التنفيذ منه إلى الحكم بن هشام، وإلى ابنه هشام، لذا استطاع أنْ يسيطر هو على الأمور دون المصحفي.

والشخصية الورائية تحمل أعباء أعمال أكثر من أعمال البطانة، وتعود نسبة القبيح من فعالها إليها، والحسن من الأفعال للشخصية الرئيسية، أما البطانة فقبيح العمل وحسنه يعود للشخصية الرئيسية.

وقد تتحكم الشخصية الورائية بالبطانة في وجود الحاكم، ولكن البطانة تكون مؤتمرة بأمر الحاكم أولا، وتساعد - عادة- في القضاء على الشخصية الورائية، ومثال ذلك الدور الذي لعبه الفضل بن العباس، والفضل بن الربيع الحاجب، ومسرور خادم هارون الرشيد، في القضاء على البرامكة.

متى تنشأ الشخصية الورائية؟

تنشأ الشخصيات الورائية عادة في حالات تتطلب القيام بأعمال مخالفة لعادة الحاكم "كحالة تولية عمر بن عبد العزيز".. أو في فترات التأسيس الصعبة "كفترة تأسيس الدولة المروانية الأموية".. أو في حالة رغبة الحاكم القيام بأمور تخالف الصورة البيضاء المثالية للحاكم، وتحتاج لجرأة تصل إلى حد الوقاحة "كوضع عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف".

ولا يُنشِئ الحاكم الشخصية الورائية التي يحتاجها بنفسه.. بل تقدم نفسها بالمميزات التي تكون للشخصية (الجسرية)، التي تصلح أن تكون جسرًا يفكر في الأمور وينفذ الرغبات دون العودة للحاكم أصلا.. وما على الحاكم سوى التفطن لها واكتشافها، فكل همِّ الشخصية الورائية أصلاً هو إثبات ولائها للحاكم.. أو للنظام، وتوطئة الأمر له ولأسرته من بعده.

أسباب ظهور واختفاء الشخصيات الورائية

ليس لظهور واختفاء الشخصية الورائية أسباب ظاهرة، فهي لا تُنْشَأ، إنما تُستثمر، فثقة الأمير في الشخص، ومنحه الصلاحية المطلقة، وتخويله في الأمور، حتى يتحدى نائب الحاكم وولي العهد نفسه في بعض الأحيان، هي ما نستطيع أنْ نقول أنَّها الأسباب الحقيقية وراء ظهور الشخصية الورائية.

ولكن المقومات التي تكون وراء ظهورها هي ما يهمنا، فالشخصية الورائية متى أثبتت جدارتها، وجرأتها، وقوتها في ولائها للحاكم ودفاعها عن كيانه، وحسن استغلالها للظروف كانت ثقة الحاكم فيها سبب نشأتها.

أما عن أسباب اختفاء الشخصية فهي تنحصر في سببين رئيسيين: الأول/ هو انتهاء الدور الذي تلعبه الشخصية الورائية "كما في حالة أبي مسلم الخراساني" إذ أنَّ دوره انتهى بوصول بني العباس إلى الخلافة، والقضاء على مناوئيهم، مما حوله إلى خطر يهدد سلطتهم، أو بوفاتها "كما في حالة الحجاج بن يوسف".
والثاني/ هو محاولة الشخصية الورائية القفز على صلاحيات

أكبر، أو محاولة السيطرة على مقاليد الحكم، مما يضطر الحاكم إلى القضاء على الشخصية الورائية أو ركنها "كما في حالة أبي مسلم الخراساني"، الذي حاول تأسيس دولة في خراسان بعيدا عن سلطة العباسيين، و"حالة عبد الله بن علي ابن عباس" الذي حاول انتزاع الخلافة من ابن أخيه أبو جعفر المنصور.

هذا في حال وجودها ونشأتها، إذ أنَّ الدولة قد لا تحتاج إلى شخصية ورائيَّة، في حال استقرار واستتباب الأمن، أو في حال كون الشخصية الرئيسية تقوم بكامل أعمالها، مثلما كان "أبو جعفر المنصور"، و"عبد الرحمن الداخل".

بُدلاء عن الشخصية الورائية

الشخصية الرئيسية الحازمة: ففي حال كون الشخصية الرئيسية حازمة وقوية لا تحتاج إلى شخصية ورائية، فأبو جعفر المنصور قضى - حين توليه- على الشخصيات الورائية الكبيرة في دولته "أبو مسلم الخراساني"، وعمِّه "عبد الله ابن علي بن عبد الله بن عباس".

وعبد الرحمن الداخل، كان يضطلع في أمور دولته بحزم، فلم يحتج لأي شخصية ورائية يستند عليها، بل كان هو في الحقيقة شخصيته الورائية.

البطانة المتكاملة: تعتبر البطانة المتكاملة في الدول المستقرَّة بديلاً عن الشخصيات الورائية، فهي التي تضطلع بالأمور الشورية في الدولة، وتضطلع أيضًا بجزء من الأمور التنفيذية فيها، وقد سبق وتحدثنا عن الفرق بين البطانة والشخصية الورائية.

صفات الشخصية الورائية

للشخصية الورائية مجموعة من الصفات تتنوع وتتقسم، ولكن هناك مجموعة واضحة من الصفات، منها:

أكثر من مستشار: الشخصية الورائية أكثر من مجرد مستشار، فهي تمتلك خاصية التنفيذ، بل وخاصية اتخاذ القرار وتنفيذه باسم الحاكم في بعض الأحيان، وقد تستحوذ الشخصية الورائية على الحاكم، فتصبح كامل مستشاريه في كل الأمور.

ويبقى الأمر عائدًا للحاكم في مباركة ما تقوم به الشخصية الورائية أو التنصل منه، فإذا باركها التصقت به، وإذا تنصل منها لحقت بالشخصية الورائية، والغريب أنَّ ما يتنصل منه الحاكم يلصق بالشخصية الورائية مباشرة، وكأنَّ الحاكم لم يكن أعلى الهرم الإداري الذي تنتمي إليه الشخصية الورائية!

أقل من نائب الحاكم أو ولي العهد، بل إنه لا يمكن أن يكون وليًا للعهد، فالشخصية الورائية في مجملها لا يمكن أن تحل محل نائب عام للحاكم، ولو كانت في بعض حالاتها واليًا أو

قائدًا عسكريًا، إلاَّ أنها لا تمتلك امتيازات نائب عام للحاكم، بل وتنشب في الأغلب خلافات بين الشخصية الوراثية ونائب الحاكم، أو ولي العهد، سرعان ما تتحول (حين يصل ولي العهد إلى الحكم) إلى علاقة أشبه ما تكون بعلاقة الحاكم السابق بالشخصية، فمما يذكر أنَّ علاقة الوليد بن عبد الملك كانت سيئة بالحجاج أيام والده، وما لبث أن أصبحت علاقة حميمة لدرجة أنَّه أسمى أحد بنيه بالحجاج، وزوج أحد بنيه إحدى بنات الحجاج.

فالشخصية الوراثية تتمتع بصلاحيات قد تكون أكبر من صلاحيات نائب الحاكم كما كان يحيى بن خالد البرمكي في عهد هارون، وقد يتخطى "الشخصيةُ الوراثية" نائب الحاكم أو ولي العهد في سلم الصلاحيات.

ولكن؛ وفي حال حاولت الشخصية الوراثية تخطي ذلك والاستيلاء على السلطة؛ يقضي ذلك على الدولة، كما حدث مع عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر حين حاول الاستيلاء على ولاية عهد هشام بن الحكم الأموي في الأندلس.

ظل الملك في مناطق نفوذها: تكون الشخصية الوراثية ظلا للملك في المناطق التي تحت نفوذها، وفي المواقف التي

يتطلب فيها عدم ظهور الملك، وعدم ظهور اسم الأسرة الحاكمة، وقد يتنصل الحاكم من أعمال الشخصية، وتقبل الشخصية بذلك، فتحمل هي أعمال الحاكم السوداء، بينما يسجَّل الإطراء، والأعمال البيضاء التي تقوم بها الشخصية الورائية باسم الحاكم.

الولاء للحاكم الحالي فقط: تتمتع الشخصية الورائية بالولاء للحاكم الحالي فقط، ولا يتعدى الولاء إلى نائبه أو ولي عهده لكسب فائدة حتى يصبح ولي العهد حاكما، فيتمتع هو بولاء الشخصية الورائية الذي كان خالصًا لمن سبقه، ولا يتبدل ولاء الشخصية الورائية إلا بتبدل الحاكم بولي عهده، فولاؤه يكون للأسرة، فالحجاج مثلا كان على خلاف مع الوليد في حياة عبد الملك، ولكن هذا الخلاف تحول إلى ولاء في عهد الوليد، ورجاء بن حيوه؛ وهو صديق عمر بن عبد العزيز، لم يخبر عمر بما في كتاب العهد الذي استأمنه عليه سليمان، مع أنَّ ذلك أغضب عُمَر، ونراه بعد أنْ توفي سليمان يصبح وزير عمر بن عبد العزيز، ويحميه، ويدعم مواقفه الإصلاحيَّة.

تختفي من سجل التاريخ: تذهب الشخصية الورائية إلى هوامش سجلات التاريخ، أو تسجل باسمها الأعمال

السوداء، بينما تسجل الأعمال البيضاء والمشرقة باسم الحاكم، أو لا تسجل في سجل الشخصية الورائية أبدا!!

فمن يذكر للحجاج أنَّه السبب الحقيقي وراء تأسيس دولة بني مروان، وأنه صاحب فكرة إنشاء العملة الإسلامية، ومن يذكر أنَّ أبا مسلم الخراساني هو المحرك الحقيقي الذي حوَّل الدعوة العباسية إلى دولة، وحمى حق بني العباس في الحكم حين كاد أن يضيع منهم بسبب تحركات أبو سلمة الخلال.

التأسيس الحقيقي للدولة: إن أهم صفة أو سمة للشخصية الورائية أنها هي من يقوم بالتأسيس الحقيقي للدولة، ويضمحل اسمها دون أن يسجَّل ذلك لها، بل يظهر ذلك تبعًا لاسم الحاكم أو أحد خلفائه، ويظل العجب أنَّ ذلك التأسيس يمحى من التاريخ.

ليست صلاحًا كاملاً ولا فسادًا كاملاً: لا يشترط أن تكون الشخصية الورائية سوداء كاملة، ولا بيضاء كاملة، فالشخصية الورائية تقوم بالأعمال التي ترى أنَها تناسب حفظ النظام الحاكم، أو تدعم بقائه، فهي (في الأغلب) تُصلِحُ حينما يحتاج الوضع إلى إصلاح، و"تُفْسِدُ" حينما يحتاج الوضع إلى إفساد.

وظائف وتأثيرات الشخصية الروائية

تأسيس الدولة أو النظام: تلمع الشخصية الروائية - في الأغلب- في مراحل تأسيس الدول، والتي تحتاج إلى تصفيات من نوع خاص، فأبو مسلم الخراساني، الشخصية الروائية في تأسيس الدولة العباسية، قام على تطوير نظام الدعوة، وتأسيس الجيش الذي أعلن الثورة، وبدأ بالتوسع باتجاه الغرب، وهو الذي أعلن الدولة في خراسان، وسعى إلى الكوفة حيث تم إعلان الخلافة العباسية.

وهو الذي قام بتصفية القيادات العباسية من الدعاة الذين كان يشك (مجرد شك لا دليل عليه) في ولائهم، وكما قام بتصفية العمال والولاة الأمويين ومعاونيهم أيضًا.

توطيد الحكم للأسرة المالكة: قد تقوم الشخصية الروائية بتوطيد الحكم لأسرة ما كما فعل الحجاج، فشخصية الحجاج بن يوسف مثلا برزت في فترة تأسيس الدولة المروانية الأموية، وقد كان الحجاج رجل عبد الملك بن مروان، وهو الذي وقع عليه القيام بالأفعال الروائية لتأسيس الدولة المروانية،

كقتل ابن الزبير رضي الله عنهما والقضاء على دولته، وقمع ثورات العراق، وقتل المتمردين، وسحق الخوارج.

أما أبو مسلم الخراساني، فهو الذي حال دون نقل الإمامة من أبناء محمد بن علي بن عبد الله بن عباس إلى غيرهم من آل البيت في أول الدعوة حين حبس أبو سلمة الخلال أبا العباس السفاح في ضيعة له وبدأ بمراسلة آل البيت الآخرين، الذين رفضوا أن يتولوا الأمر، ولكن أبا مسلم وصل إلى الكوفة قبلها وأخرج أبا العباس وبايعه، واغتال أبا سلمة الخلال، بعد أن أعطاه أبو العباس الأمان.

القيام على الإصلاحات الكبرى في نظام الحكم،
وهذه الإصلاحات قد يخالفها عادةً أبناء الأسرة الحاكمة، أو أفراد الطبقة الحاكمة، ولعل الحالة اليتيمة في ذلك هي حالة سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، التي قام فيها العالم الجليل رجاء بن حَيَوَة بدور الشخصية الورائية، إذ أنَّ سليمان لما مات ولده أيوب، وحضرته الوفاة، كتب بالعهد إلى ابنه داود، فدخل عليه رجاء فقال له: "يا أمير المؤمنين؛ إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على الناس الرجل الصالح"، فلما قرر سليمان استخلاف عمر بن عبد العزيز، كتب ذلك في كتاب وجمع عليه بيعة بني أمية، وجعله عند رجاء (وكان رجاء بمنزلة الوزير من

سليمان)، وجعل رئيس شرطته تحت أمر رجاء، فلما مات سليمان، خرج وجمع البيعة على الكتاب مرة أخرى، ثم لما قرأه غضب هشام بن عبد الملك، وأظهر سخطه وعدم رضاه، فقال له رجاء: "والله إذًا أضرب عنقك"، فهو الذي أقام الأمر إذًا لعمر بن عبد العزيز، وقد كان وزير سليمان ووزير عمر، والشخصية الورائية الإصلاحية لهما.

القيام على أعمال التصفيات والاغتيالات والإبادات لحماية الحكام: قد يكون دور الشخصية الورائية القضاء على خصوم الحاكم وأعدائه، وتصفيتهم لصالح الأسرة الحاكمة، أو أحد أفرادها، دون نظر لرحم أو قرابة، وهذا ما قام به أبو مسلم الخراساني في بداية إنشاء الدولة العباسية، وهو الذي قام به أيضًا عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، عم أبو العباس السفاح في بني أمية، إذ بدأ بإبادتهم إبادة جماعية، حتى عُرِفَ بسفاح بني أمية، وسفاح دمشق.

وهو الذي قام به الأتراك أيضًا بقيادة القائد بغا الصغير الشرابي، حين قتلوا الخليفة المتوكل على الله جعفر العباسي، لصالح المنتصر بالله محمد بن جعفر ابنه، ليولوه الخلافة بدل أبيه. ونماذج ذلك في أواخر أيام الدولة العباسية وأواسط أيام الدولة العثمانية كثيرة.

علاقة الشخصية الورائية بمن حولها

نستطيع تقسيم علاقة الشخصية الورائية بالمجتمع من حولها من حيث المجتمع إلى قسمين: العلاقة بالطبقة الحاكمة، والعلاقة بالعامة.

ونستطيع أن نقسمها من حيث نوع العلاقة إلى قسمين أيضًا: علاقة إيجابية، وعلاقة سلبية.

فعلاقة الشخصية الورائية بالطبقة الحاكمة تكون في الأغلب علاقة تنافس وتناحر، ناتجة من كون السلطة الممنوحة للشخصية الورائية أقوى من غيرها، وأنَّ الشخصية الورائية تنتصر دائمًا إذا تقاطعت رغبتها مع رغبة أيٍّ من الطبقة الحاكمة.

أما من ناحية العلاقة مع الناس فإما أنْ يورثهم الشخصية الورائية كرهًا عميقًا كما فعل الحجاج بن يوسف، وهذه هي العلاقة السلبية، وإما أنْ يخلق نوعًا من التواصل العميق، ينعكس حبًا جمًا ، يعود بالخير على الحكام والمحكومين كما فعل

المنصور محمد بن أبي عامر، وزير الخليفة الحكم بن هشام الأموي في الأندلس، وهذه هي العلاقة الإيجابية.

وينبع الكره للشخصية الورائية عادةً من أنَّها تحمل في جنبها دائمًا، وتحت اسمها ما يوجب كره الناس للشخصية الرئيسية لو أنها حملت ذلك الأمر في جنبها، فالشخصية الورائية كما أسلفنا هي التي تحمل سوآت الأسرة الحاكمة على أنها أفعال شخصية منها.

ونستطيع إرجاع العلاقة السلبية الغالبة بين الشخصية الورائية والطبقة الحاكمة إلى أحد أمرين، إما أنَّ الشخصية الورائية ترغب في إصلاح لأجل الأمة على حساب مصالح الطبقة الحاكمة، كما فعل الإمام العز بن عبد السلام في المماليك أيام حكم نجم الدين أيوب، أو أنَّها نابعة من حب الشخصية الورائية لذاتها، ومحاولتها حماية نفسها من الآخرين كما في حالة أبو مسلم الخراساني حين صفى الدعاة العباسيين الآخرين، وكما في حالته حين تحرك للقضاء على عبد الله بن علي ابن عباس عم الخليفة، بل ومحاولته القضاء على الخليفة أبو جعفر المنصور نفسه.

أشكال الشخصية الروائية

للشخصية الروائية عدة أشكال.. تتنوع بتنوع مصادر معرفة الشخصية، وانتمائها المعرفي، والعسكري، بل والعرقي في بعض الأحيان.

فالحجاج مثلاً يمثل شخصية الطاغية.. السياسي.. المحنك.. القوي.. الجريء.. الذي يدين بالولاء للحاكم.. وللحاكم فقط.

بينما يمثل رجاء بن حيوة والعز بن عبد السلام، العلماء العباد.. المجاهدين.. الذين يبحثون عن مصلحة الحاكم في صالح المحكومين.

وترى في شخصية المغيرة بن شعبة رضي الله عنه لدى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وفي شخصية المنصور محمد بن أبي عامر عند الحكم بن هشام الأموي الأندلسي، شخصية أخرى تتمتع بالحنكة السياسية، والمقدرة العسكرية، والقدرة على المواربة والتقريب بين حب الناس وثقة الحاكم، وتقريب الناس من الحاكم.. والحاكم من الناس.

ونرى أيضًا في شخصية الترك في أواخر حكم العباسيين، وشخصية المماليك في الدولة الأيوبية، والإنكشارية في الدولة العثمانية، شخصًا عجيبًا، خلق للقتال والقتال فقط، فتحول مع الوقت إلى متحكم بمصائر الدولة، يعاني من الجهل، ويجري خلف مصالح شخصية مما سعى بالدولة إلى الانهيار.

ونرى في شخصية أخرى - قد يتساءل الكثيرون عن كيفية كونها ورائية- تلك الشخصية التي تطلب حاجة ذاتية، ودعمًا خاصًا لذاتها، تتحول مع الوقت إلى عدو يصعب القضاء عليه، ويصعب تركه، ويصعب الابتعاد عنه، كما كان المتنبي.. (الشاعر).. الشخصية الورائية للأمير سيف الدولة ابن حمدان.

وأنواع الشخصية الورائية كثيرة، تختلف باختلاف طبائع الناس، إلا أنها تتفق في أمور، منها: أنها تحصل على ثقة مطلقة من الحاكم، وتتمتع بولاء له لأي سبب كان، وأنها تنتهي بانتهاء الحاجة إليها.

نهاية الشخصية الورائية

تتعدد السيناريوهات في نهاية الشخصية الورائية، فمنهم من ينتهي من دوره فيكافأ، كالحجاج بن يوسف، حيث ولي أمر العراق، وأمر جيوش الفتح في المشرق، ومثل طاهر بن الحسين، قائد المأمون، وشخصيته الورائية التي أوصلته للخلافة، فقد استمرت المكافأة له بولاية خراسان في أبنائه وأبنائهم أيضًا.

ومنهم من يتم القضاء عليه من قبل الشخصية الرئيسية: كأبي مسلم الخراساني، وعبد الله بن علي ابن عباس، اللذان قضى عليهما أبو جعفر المنصور بأن ضربهما ببعضهما ثم قضى على المنتصر منهما، وكالبرامكة الذين قضى عليهم هارون الرشيد قضاءً مبرمًا حين اكتشف خيانتهم، وجوهر الصقلي الذي تقول بعض المصادر أنَّ المعز لدين الله الفاطمي سمَّه أو قتله، بعد أن انتهى دوره في تأسيس الدولة.

ومنهم من ينتهي بعيدًا عن مكانه الورائي، كالمتنبي، الذي طرده سيف الدولة الحمداني من بلاطه، فمات دون أن يُعْرَفَ قاتله بالتحديد، وكالمصحفي وزير هشام بن الحكم بن هشام

الأموي الأندلسي، الذي سامه الشخصية الورائية التي أخذت مكانه خسفًا (وهي المنصور ابن أبي عامر) حين حاول المصحفي القضاء عليه.

ومنهم من يرحل وهو في قلوب الناس باقٍ، كرجاء بن حيوه، وكالإمام العز بن عبد السلام، حتى يقف السلطان المملوكي بيبرس ينظر إلى جنازته المهيبة من شرفة بلاطه فيقول: "الآن فقط أصبحت سلطان مصر".

وتظل نهايات الشخصيات الورائية منوطة بهم، وباختيارهم.. كيف يختارونها، ومع من يريدونها، ولأجل من، فإن أرادوها لأجل خدمة الحكام، رحلوا كالحجاج بن يوسف، وإن أرادوها لأجل الأمة والناس والإصلاح، رحلوا مثل الإمام العز بن عبد السلام.

محاولات ورائية للجلوس في الأمام

تتباين نتائج محاولات الشخصية الورائية في الجلوس على الكرسي الأمامي، والتسلط على الأمور بين ناجح وفاشل، لكن الفشل هو الأغلب والأكثر.

فالمختار بن أبي عبيد الثقفي نصب نفسه شخصية ورائية للإمام محمد ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب، فدعا له بالخلافة، وجمع أنصاره، ولكنه حينما تفاجأ بأنَّ ابن الحنفية رضي الله عنه صادٌّ عنها، وأنه بايع ابن الزبير، طلبها لنفسه، ففشل وذهبت ريحه وقُتِلَ.

وأبو مسلم الخراساني الذي نظر إلى كونه فارسي، ويحكم خراسان، وتحت إمرته جيش قوي، عدا أنَّ شخصيته الأمامية كانت قد ماتت، وهي أبو العباس السفاح، واعتقد أنَّ أبا جعفر المنصور كان على ما بان عليه من الضعف أيام أخيه، قرر الانفصال وتأسيس دولة، إلا أنَّ دهاء أبي جعفر قلب الموازين عليه، وأدى إلى قتله.

ومثله عم الخليفة عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، الذي ادعى - مستضعِفًا أبا جعفر- أنَّ ابن أخيه السفاح عهد له بالأمر من بعده، فكان ذلك سبب القضاء على قوته بل وقتله.

وقريبٌ من ذلك نموذج الأسرة البرمكية، التي كانت الشخصية الورائية خلف هارون الرشيد، ووصل بها الأمر أنْ أصبح أفرادها يأمرون وينهون حتى على أسرة بني العباس، ولكن حين أحس هارون منهم الخيانة، وكشف أمر الفضل بن يحيى الذي وثق به وولاه خراسان، فخطط للانفصال بها، وعلم بأفاعيل جعفر بن يحيى الذي كان يقود حركة المجوس لتشويه سيرة الخليفة وتحريف الدين، ويدعم الحركات التخريبية ضد الدين والدولة، لمَّا علم بكل ذلك قصمهم في ليلة واحدة، ونستطيع أنْ نقول أنَّ يحيى بن خالد البرمكي (الأب) هو من ذهب ظلمًا في هذه القضية.

على النقيض من هذه المحاولات الفاشلة، نقف على محاولة المعلم الذي أصبح أميرًا، محاولة كافور الإخشيدي، والتي تكللت بالنجاح، إلا أنَّها لم تستمر بعد وفاته يومًا واحدًا.

وأفضل منها ما قام به المنصور محمد بن أبي عامر في الأندلس، مع كونه أسس دولته كاملة تحت قبة الدولة الأموية في

الأندلس، فكانت الأمور تُسَيَّرُ من قصره، والخطبة تخطب باسمه، والعملة تسك بلقبه، والخراج والمال والدواوين في قصره، إلا أنَّه أبقى الخليفة الأموي في قصره وأجرى له معاشه وأبعده عن أمور الحكم بالكلِّية.

ومن بعده ابنه عبد الملك بن المنصور، والذي استمر على سياسة أبيه، مما حفظ مهابة دولة كانت تتذلل لها ممالك العالم، وتُرْهِبُ أوروبا كلها؛ حتى أهدى ملك بريطانيا ابنته للمنصور، وأرسل ملك الدنمارك الجزية طواعيةً وخوفًا، مع أنَّ مملكته بعيدة جدًا عن الأندلس.

بل وأنَّ المنصور أرهب الدولة الفاطمية في مصر، حينما دعمت خوارج[1] الذين خرجوا على الأمويين في المغرب، فأرسل المنصور إلى الخليفة الفاطمي كتابًا جاء فيه ما معناه: "إنِّي أحدث نفسي بالحج هذا العام، وإنِّي أرى أنَّ الإسكندرية تناسبني، والقاهرة تعجبني، فإنْ لم يكن لك بهما حاجة أتيناك ونزلنا فيهما وكسرنا شوكت ملكك"، وفعلا انتهى الفاطمي عن دعم الخوارج.

---

١) لا يقصد بالخوارج هنا أصحاب المذهب الخارجي، بل إنها تعني في التاريخ كل من خرج على الحاكم في المغرب أو الأندلس أيًا كان مذهبه أو دينه.

إلا أنَّ نهاية الدولة العامرية والدولة الأموية أيضًا كانت على يد عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، الذي حاول أن يكون الشخصية الأمامية المطلقة في الدولة، فأرغم الخليفة هشامًا على أنْ يكتب له بولاية العهد، فأنقم الجميع من حوله، وبدأت الثورات على الدولة، حتى قُتل وسقط ملك بني أمية في الأندلس، وبدأ عهد ملوك الطوائف.

من هنا نلحظ أنَّ كل محاولات الوصول إلى السدَّة العليا من قِبل الشخصيات الروائية تنتهي - غالبًا - بكوارث ومآسي، وحتى تجربة المماليك، والتي لم يكونوا هم من سعى للوصول إلى السُّدَّة فيها انتهت بمقتل أيبك، وقطز، ووصول العسكر إلى الحكم.

الفصل الثاني:

نماذج من الشخصيات الورائية في التاريخ الإسلامي

الباب الأول:

نماذج ورائية في دول الخلافة

تمهيد

"كلُّ دولة ملكية إعتمدت على شخص من خارج بيت الحكم في قيامها، أو مجموعة غير المجموعة الحاكمة، ليقوم الرجل أو الفئة بأفعال لا يستطيع الخليفة القيام بها"، وتتفاوت درجات قوة ومقدرة الشخصية الورائية باختلاف درجات أهميتها ومكانتها والدور المنوط بها، هذا ما يمكن قياسه بدراسة نماذج من الشخصيات الورائية.

إنني لا أعقد هذا الفصل لأُعَرِّفَ بالشخصيات التي أذكرها، أو لأثبت حقائق تاريخية أو أنفي أخرى، إنني أعقده لأضع خطوطًا تحت الجوانب الورائية في النماذج التي أتطرق إليها، فلا يهمني عقد تعريف للنموذج من حيث المولد والنشأة...إلى آخر ذلك، بل يهمني أن أثبت الجوانب التي تهمني.

ومن المهم أنْ أقول أنني راجعت الكثير من المراجع في التاريخ والتراجم، ولا أعتبط المعلومة التي أثبتها اعتباطًا، أو أذكرها وأنا مشكك فيها إلا أنْ أبين، لذا فمن كان يشكك في معلومة ما فليرجع لكتب التاريخ، فإنَّ ذكر المصدر للمعلومة في الهامش سوف يطيل الكتاب دون طائل.

المغيرة بن شعبة

أول شخصية لعبت الدور الورائي في التاريخ الإسلامي كان الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة الثقفي، وذلك في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين، لم يكن دوره صغيرًا، بل أثر في تغيير مجرى التاريخ الإسلامي إلى يومنا هذا.. وهذا هو المنسي في تاريخ الرجل

إنَّ أهمَّ ما يُذْكَر عن المغيرة رضي الله عنه أنَّه أوَّل من أشار بأمر تولية العهد في الإسلام، وكانت تلك الإشارة على عمر بن الخطاب عليه السلام - وهو يحتضر- ليولي عبد الله بن عمر من بعده، إلا أنَّ عمر رد عليه ردًا قاسيًا، والأهم من ذلك أنه هو أيضًا من أشار على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بتولية يزيد لولاية العهد.

كان المغيرة ثقفيًا من أهل الطائف، فرَّ مِن قومه لكونه قَتَلَ أحدهم، ولَحق بالرّسول ﷺ وأسْلم، وكان أحد حرّاس الرسول ﷺ الشخصيين، وله مواقف شهيرة لعل أبرزها موقفه من كُبراء قومه لمّا جاؤوا لِيُسْلِمُوا بعد حصار الطائف، ويبين هذا

الموقف شدَّته وحزمه، إذ كاد يقتل عمَّه "عبد ياليل"، سيِّد الطائف، والذي افتداه من قاتله.

ولمَّا توفي الرسول ﷺ شارك في حروب الردة، ثم لحِقَ بجيوش الفتوحات في العراق، وعاد منها في عهد عمر عليه السلام مستأذنًا إياه في إدخال عبده "فيروز المجوسي" إلى المدينة لمهارته في النقش والنجارة، وهذا العبد هو الذي عرف بعد ذلك بأبي لؤلؤة المجوسي، ولذا يحمَّل المغيرة جريرة قتل عُمر عليه السلام، ولكنه منه براء بكل تأكيد.

وأعتقد أنَّ إشارته على سيدنا عُمر عليه السلام بتولية عبد الله بن عُمر رضي الله عنه، ما كانت إلا إحساسًا بالذنب لكونه سيِّد أبي لؤلؤة، وما ملازمتُه لعُمر عليه السلام فترةَ ما بَعْدَ الطعنةِ إلا لذلكَ، فهو الوحيد من الصحابة الذي يظهر في كل مروية تروى عن عمر بعد الطعنة، سواء ما كان منها مع علي بن أبي طالب عليه السلام، أو عبد الله بن عباس، أو ابن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

ونرى اسمَه خَفَتَ لِمُدَّةٍ، مع كونه كان في العراق مع سيدنا علي عليه السلام حتَّى عهد معاويةَ بن أبي سفيان رضي الله عنه، حين تولّى له أمر الكوفة والعراق، وذلك لخبرته العريضة

بأهلها، ومعرفته بهم، فعلاوة على كونه من رجال الفتوحات هناك، كان والي عمر بن الخطاب لفترة على الكوفة، وكان مع سيدنا علي عليه السلام أيام الفتنة، حينما نزلها.

أضف إلى ذلك حزمه وشدّته ودهاؤه، ولا يصلح لحكم العراق إلا من تمتع بهذه الصفات.

إنَّ دهاءه وحنكته رضي الله عنه ضمنت له منصب ولاية العراق مدى حياته، فقد استعذر من الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، حين أحسَّ بالكِبَرِ، فأذن له، فلما رأى تغير حال الناس عليه، وقرر أن يعود للأمارة، دخل على الخليفة وأشار عليه بتولية يزيد للعهد فأرسله معاوية مرةً أخرى واليًا على العراق ليأخذ البيعة ليزيد مما أبقاه واليًا عليها إلى حين وفاته رضي الله عنه.

وكان العام الخمسون من الهجرة هو موعد وداع هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه للدنيا، بعد أنْ قدَّم للأمةِ أعمالاً توصَف من البعضِ بالجليلةِ، ومن البعض الآخرِ بالسيئة، ولكن وعلى ما يبدو أن قصده كان في تلك الأعمال مصلحة الأمة، فما المصلحة التي عادت عليه من تولية يزيد للخلافة؟ مع الاعتبار لكونه هو من اعتزل أمر العراق.

ويبدو أنّه استحضر أمر الانتكاسة التي جرت بعد وفاة الرسول ﷺ دون أن يستخلف من ردة أقضّت راحة أبي بكر الصديق عليه السلام، واستحضاره أيضًا للفتنة التي كانت باستشهاد عثمان عليه السلام دون استخلاف، وخوفه من انفراط الأمر وتنازعه.

كما أنَّ الأمن الذي استتب في عهدي عمر وعثمان عليهما السلام واللذان استُخْلِفا بالشورى، كل ذلك كان في اعتبار المغيرة حين أشار بالاستخلاف على ما يبدو، فالمقارنة في الحالتين بين الانتكاسة دون استخلاف، والأمن مع الاستخلاف هو ما جعله يشير بذلك على عمر بن الخطاب فرفضه، ثم على معاوية ابن أبي سفيان فقام به.

وتبقى الحقيقة المغيَّبة، هي أنَّ المغيرة لم يكن أوَّل من أشار بتولية العهد فحسب؛ حين أشار على عمر عليه السلام بذلك، بل هو أوَّل من أشار بها فنفذت حين أشار على معاوية رضي الله عنه بذلك، والدور الوراثي الرئيسي له كان حين عاد واليًا على العراق، وأخذ بيعة العراق كلها ليزيد بولاية العهد، والعراق هي أرض لم تهدأ لحاكم، وهي الأرض التي تنبع منها الثورات، والأهم من هذا أنَّها أرض لا تدين بالولاء لبني أمية.. بل تدين لهم بالعداء.

الحجاج بن يوسف

تَطْرَحُ شخصيةٌ كشخصية الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي تساؤلات خطيرة وكثيرة، فهو عبارة عن تراكم غامض لأعرابي جلف، تربى في أحدى المجتمعات المدنية (مجتمع الطائف) بعيدًا عن المجد.. فقد كان مؤدّبًا للصبيان.. ويقال أنه كان دباغًا، أو بائع زبيب، وأيا كانت المهنة فقد كانت من المهن الحقيرة المحتقرة عند العرب، لذلك فقد شكّل ذلك في نفسه حَنَقًا وغَضَبًا على المجتمعات.

ترك الطائف بطريقة غير دقيقة، واتجه إلى مكة.. وهو ينوي الوصول إلى أعالي السلطة، ولكن رَفْض ابن الزبير (الخليفة في أيامها) له جعله يتجه إلى الشام.. إلى منافسه الأخطر، ويبدو أن الحجاج كان يتمتع بنظرة ثاقبة للأمور، فعلم أنَّ آل مروان هم القادمون إلى السلطة.. فاتجه إلى دمشق.

في دمشق التقى "بِرَوْحِ بن زنباع" صاحب شرطة عبد الملك، وعن طريقه وصل إلى الخليفة، والذي اكتشف لدى الحجاج إيمانه بأنّه الغاية التي تبرر الوسيلة، فاستغلها.

لم يكن عبد الملك يستطيع القضاء على الخوارج بنفسه، فقضى عليهم الحجاج، ولم يكن يستطيع حصار مكة.. فهذا أمر مشين، فتولى عنه الحجاج ذلك، بل وهدم جدارًا من جُدُرِ الكعبة، وقتل ابن الزبير، وصَلَبَه.

تولى أمر العراق التي لم يثبت لها والٍ قط، بل ولم تدن لأخي عبد الملك.. بشرِ بن مروان، والذي خسر الكوفة لصالح الخوارج، ولكن الحجاج حكمها بالرعب، وثبَّت حكم بني مروان فيها.

وولي أخوه محمد بن يوسف اليمن، والتي كانت قاعدة لآل البيت من العلويين، وأحكم قبضة المروانيين عليها باسم الحجاج، وكان سلاحهم الفتاك على أعدائهم، ومُلأَت سيرته بالأحاديث المرعبة، والمواقف التي تدل على الوحشية، ولذا كان رمزَ البطش والطغيان على مر التاريخ.

وغطى ذلك على الأعمال الحسنة التي كان يقوم بها، فقد طغى بطشه بأعادي الدولة على عفوه وشفقته، بل كانت مواقف العطف والشفقة تذكر على سبيل دهاء خصومه في المواقف وما أكثرها، وحتى المواقف البارزة في البطش، كبطشه ببقية قتلة

عثمان كانت تذكر على سبيل البطش لا على سبيل الذكر الحَسَن.

وحسبك به أنّه لعب دَورًا بارزًا في تثبيت أركان الدولة المروانية، وفي القضاء على القلاقل والفتن التي تحيط بها، حتى أصبح ابن مروان يرمي باسمه تجاه الفتنة فتخمد حتف نفسها.

وهو (أي الحجاج) الذي استأنف رحلة الفتوحات الإسلامية التي توقفت بوفاة يزيد، وجهّز جيوش المهلب، ومحمد بن القاسم للتوسع قبالة المشرق.

وَيَعْرِفُ العالم كله أنَّ أوَّل من سكّ العملة الإسلامية باللغة العربية كان عبد الملك بن مروان، وأوَّل من انشأ دارًا لسك العملة كان هو، وهذه المعلومة هي جزء من الحقيقة، فالحجاج كان صاحب المشورة في ذلك، فهو من أشار على عبد الملك بسكها بالعربية، وإنشاء دار لسك العملة، وهو من أسس دار سك العملة في الكوفةأيضًا.

ويُذْكَرُ اهتمامه باللغة والقرآن ونَقْطِهِ وتَشكِيْلِهِ، عرَضًا بين سيرته، وكأنه أمر لا يستحق الذِّكْر! وكأنَّ هذا العمل لم يكن له دور أبرز في حفظ اللغة والقرآن، ومن الواجب علينا في كتابة التاريخ أن نكون المنصفين، متتبعين قول الحق جل جلاله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1]

إنَّ إجرام الحجاج في القتْل لم يكن في كثرة عدد القتلى، ولكنه كان كثيرًا في الكيفية، فقد قَتَل ابن الزبير، وقَتَل ابن الأشعث، وقَتَل سعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وجمعًا من سادات القوم وأشرافهم وعلمائهم وتقاتهم، ولو لم يفعل إلا ذلك في حياته لكفاه عارًا.

وإذا نظرنا إلى ذلك في الميزان السياسي نجد أنَّ الحجاج كان معه الحق في ذلك، فابن الزبير خصم عبد الملك خليفة الحجاج، وابن الأشعث وابن جبير رحمهم الله جميعًا، رؤوس الثوار في ثورة ابن الأشعث "ثورة القرَّاء" التي خرجت على عبد الملك.

ولنقف هنا لحظة: فلو عكسنا الأدوار.. وجعلنا عبد الملك مكان ابن الزبير، وكان أنْ قتل الحجاج عبد الملك لصالح ابن الزبير، هل سيكون الحجاج سفاحًا؟ مع العلم أنَّ ابن الزبير (الذي قتله الحجاج) كان الخليفة الشرعي، فلو قلنا أنَّ عبد الملك كان الخليفة الشرعي بدل ابن الزبير، هل سيكون هذا موقفنا من الحجاج؟

---

١) سورة المائدة.

ولو نزعنا ابن الأشعث، وابن جبير، ووضعنا مكانهما أي شخصين آخرين، ألن يكون الحجاج قضى على مجموعة من الثوار كانت تقصد الإطاحة بالخليفة؟ ولو نجحت ثورة ابن الأشعث.. ماذا سيكون مصير الحجاج.. والي العراق؟

ولماذا لا يذكر عفوه عن الإمام الشعبي حين يذكر أخذه للإمام سعيد بن جبير، فالشعبي أيضًا كان من القراء في جيش ابن الأشعث، وهو الذي وقف في أحد أيام القتال بين الصفين، وبدأ في إظهار عيوب ومثالب الحجاج، وأهانه، حتى قال الحجاج: "لإن ظفرت به لأرينه ما أصنع"، ولكنه عفا عنه بعد أنْ قبض عليه وحُمل مصفودًا إلى الكوفة في قصة طويلة مذكورة في كتب التاريخ، مع العلم والإشارة إلى أنَّ الحجاج كان يكرم القراء، وكان حَنَقُهُ على الشعبي لأنَّه كان يبالغ في إكرامه من بين القراء.

ومما يذكر أيضًا ويثبته كثيرون من المؤرخين أنَّ القصة الشهيرة التي تروى عن مقتل ابن جبير سبقها أنْ عفى الحجاج عن ابن جبير أيضًا إلاّ أنَّ الجدال طال بينهما وتغير مسار الحديث حتى وصل إلى أنْ أمر الحجاج بضرب عنق ابن جبير.

إنَّني مؤمن أنَّ قتل ابن الزبير وابن جبير عليهما رضوان الله أمر جَلَل، وخطأ عظيم يسجَّل على الحجاج، ولكن لماذا نذكر

قتل ابن جبير كسوأة في سجل الحجاج وقد كان الحجاج قتله حين خرج على الخليفة، وننسى قتل خبيب بن عبد الله بن الزبير رحمه الله، والذي قُتل في المدينة دون أنْ يخرج على الخليفة، بل قتل في عهد الوليد بن عبد الملك، أي بعد أنْ استقر الأمر للأمويين، إذ جُلد مائة سوط، وربط عاريًا أمام باب المسجد النبوي في زمهرير الشتاء، وليلاً، وصب عليه الماء البارد، فمات رحمه الله صبرًا، وهو أيضًا تابعي جليل. إنَّنا ننسى ذلك لأنَّ قاتله لم يكن الحجاج، فقاتله كان والي المدينة أيام الوليد، والذي ظل طول عمره يتندَّم على موت خبيب، وحتى بعد أنْ ولي الخلافة، كان كلما بُشر بفتح أو نصر أو نجاح حدث في عهده، قال لرجاء بن حيوة الذي بشره: "وما فعلت بخبيب؟!".. ذلك الوالي كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه.

وإذا راعينا الحياد، فإنَّ الحجاج أيضًا كان يردد في آخر أيامه، وهو لم يعش إلا أيامًا معدودات لم تصل إلى الشهر بعد مقتل سعيد بن جبير، وكان يردد: "مالي ولابن جبير، ردوا عني ابن جبير، ليتني لم ألق ابن جبير وليته لم يلقني، مالي ولقتل ابن جبير"، بل وكان يراه في المنام، ويتفزَّع من نومه حتى مات.

ما يجب أن يذكر من باب الإنصاف أنَّ للحجاج مواقف مشرِّفة، كما كانت له مواقف مشينة، وأنَّه كان الدعامة الأقوى

في قيام الدولة المروانية، والتي اعتمد عليها عبد الملك بن مروان، بل وقرَّبه من الأسرة الحاكمة، فتزوج أحدُ أبناء الخليفة من إحدى بنات الحجاج، وتزوج مسرور بن الوليد بن عبد الملك الثانية. وقد كان الحجاج على علاقة وطيدة ببيت الخلافة.. بعبد الملك ثم بالوليد، ويبدو أنهما كانا مؤمنين به ومحبان له، فقد أسمى كل واحد منهما أحد بنيه بالحجاج، ولم يكن اسم الحجاج منتشرًا في العرب الأمويين من قريش، وكان صاحب مشورتيهما، فقد كان يُستدعى من العراق كثيرًا لطلب رأيه ومشورته، وكان يجيب الدعوة بسرعة كبيرة يتعجب منها الخليفة نفسه.

لقد كان تاريخ الحجاج مليءً بالظلم والطغيان، ولكن ما يذكر في وفاته يستدر العطف عليه، فهو القائل:

إِنَّ ذنبي وزن السماوات والأر..
..ض وظني بخالِقي أن يُحابي
فَلئن مَنَّ بالرضا فهو ظنِّي
ولئن مرَّ بالكتاب عذابي..
.. لم يَكن ذاك منه ظلمًا وهل يظـ
ـلمُ ربٌّ يُرجى لحسن مآبِ؟

والقائل حين بدأ الناس يُأيِّسونه من روح الله:

ربِّ إنَّ العبـــادَ قَـــدْ أيأســـوني

ورَجـــائي لـــك الغـــداة عظـــيم

ودعا فقال: "اللهم اغفر لي، فإنَّ النَّاس زعموا أنَّك لا تفعل".

من يراجع سيرة الحجاج بموضوعية يرى أنه كان دقيقًا في اختيار أفاضل الرجال للحكم، وكان يقول الحق ولو على نفسه، فحين توفي أخوه محمد وهو والي اليمن، جاء إلى الوليد فقال له: "إنّ في خزائن محمد خمسين ألف دينار، فإن كانت حلالا فرحمه الله، وإن كان غير ذلك فلا رحمه الله"، فقال الوليد: "بل هي من تجارة سمحنا له بها ونعلم عنها، فارحمه رحمه الله".

المختار بن أبي عبيد الثقفي

عَيَّنَ المختار بن أبي عبيد الله الثقفي نفسه "شخصية ورائية" خلف آل البيت، وخَلْفَ محمد بن الحنفية بالتحديد، وأقام الدعوة لآل البيت، ولثأر الحسين من بني أمية.

كان ذلك حين أصبح في الأمة الإسلامية أربعة دعوات للخلافة، إذ اعتزل معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رحمه الله، وأرجع الأمر للمسلمين، فنادى ابن الزبير رضي الله عنه بنفسه خليفة للمسلمين، وأعلن عبد الملك بن مروان نفسه خليفة، وأعلن الخوارج خليفة لهم، وبدأ هو بأخذ البيعة لآل البيت، وظفر بعبيد الله بن زياد ابن أبيه والي الأمويين على العراق فقتله، وكان عبد الملك أرسل عبيد الله للقضاء على المختار، وبدأ الناس يلتفون من حول المختار، إذ أنَّه داعية لآل البيت.

ولكن محمد بن الحنفية أعلن تبرأه من المختار، وبايع لعبد الله بن الزبير، فبدأت أنظار الناس الذين مع المختار تلتفت إلى "عبيد الله بن علي بن أبي طالب"، فما كان من المختار إلا أنْ قتل

عبيد الله وأعلن نفسه خليفة، فبدأ الناس ينفضُّون من حوله، وبدأت قوته تضمحل وتنضب. وكان ابن الزبير أرسل أخاه مصعبًا إلى العراق للقضاء على فتنة المختار، فقضى عليه وقتله.

لم يكن المختار ورائيًا رسميًا، بل نصَّب نفسه بلسان ابن الحنفية، وادَّعى أنَّه يراسل الإمام محمد بن الحنفية وأنَّه يرشده، فنقض بيعة أهل العراق التي كانت لابن الزبير، وحرك بنفسه العراقيين وفق هواه، فكان في إعلان ابن الحنفية البراءة منه قَتْلٌ له.

وتظل شخصية المختار من الشخصيات الخلافية بين الطوائف في التاريخ، ففي حين يصل به الشيعة إلى كونه أحد المصلحين الذين ماتوا ظلمًا، تصل به بعض الفرق إلى كونه ادَّعى العصمة والمهدوية لابن الحنفية، ثم ادعاها لنفسه، ثم ادعى النبوة، ووضع كرسيًا كان في مسجد الكوفة وقال: "هذا بقية علي بن أبي طالب"، كتابوت آل موسى وآل هارون.

وبغض النظر عن مصداقية هؤلاء أو أولئك، فقد أصبح المختار شخصية ورائية، ذهبت بكل قبيح لصق بها، واختفى من ذكرها الكثير من المحاسن، ولو أنَّه من الإنصاف أنْ تعتبر ثورته من ثورات آل البيت.

رَجَاء بن حَيْوَه

كان "رجاء" رحمه الله من أئمة التابعين، ومن رواة الحديث النبوي الشريف، وكان وزير عمر بن عبد العزيز في إمارة المدينة، ووزيرًا لسليمان بن عبد الملك، وصديقًا له.

ورجاء شخصية ورائية للرجلين: سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويجب أنْ نقف هنا وقفة مع الشخصية الرئيسية الأولى لرجاء.. سليمان بن عبد الملك، لقد ضاع سليمان بين الوليد وعمر، فمع أنه من القلة القليلة التي عرفت بالتقوى والورع والصلاح والإصلاح، إلا أنَّه جاء بين أعظم بني مروان في السياسة والتنمية، وأعظمهم ورعًا وتقوى، فلذا ضاع بينهما مع ما قدَّم.

ولد سليمان بالمدينة.. وسكن الشام.. ووَلِي الرَّملة إلى أن تُوفي الوليد فبويع بالخلافة، جهز الجيوش لفتح القسطنطينية، ونزل مرج دابق شمال دمشق وأقسم أن لا يعود إلى دمشق حتى تفتحَ القسطنطينية أو يدركَه الأجل الذي أدركه فِعْلاً؛ فتوفي هناك.

كانت سيرته الخصبة بالأعمال والفتوحات والاستقرار ملعبًا للمغرضين.. فقد اتهم بقتل ثلاثة من أشهر الأمراء والقادة: قتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم، وموسى بن نصير.

أما الأول، فإنَّه خلع سليمان أول ما ولي الخلافة خوفا منه، إذ أنَّه أخذ البيعة بولاية عهد الوليد بن عبد الملك لأحد أبناء الوليد دون سليمان كما فعل الحجاج، فلذا خلعه خوفا من بطشه به إن ولي الأمر، ويقال أنَّه دعا لنفسه بالخلافة فقتله جنده مع بدايات عهد سليمان.

أمَّا الثاني فقد قُتِل في السجن حين ادَّعَت عليه إحدى بنات ملوك العجم التي كان قد قتل أباها أيام قيادته للجند، أما موسى فقد وصل بغنائم الأندلس والوليد ينازع، فأمره سليمان أن لا يدخل حتى يتوفى الوليد، لكنه دخل دمشق قبل ذلك، فلما ولي سليمان حبسه، ويقال (وهذا المشهور) أنه أخرجه من السجن وأكرمه، فلما خرج رحل إلى المدينة المنورة وجاور فيها إلى أن توفي فيها وفاةً طبيعية معززًا مكرمًا.

لّما حضرَت الوفاةُ سُليمانَ كَتَبَ كِتَابًا وَخَتَمه، ثمَّ دَعا سادَةَ البَيْتِ الأموي وأمَرَهم بالبيعة لمن في الكتابِ فبايعوا، وحين توفي وفتح الكتاب وجدوه عَهْدًا لعمر بن عبد العزيز، ومِن بعده ليزيد

بن عبد الملك، ولو لم تكن من حسَنةٍ تُكتَب في سجلٍّ سليمان رحمه الله إلا ولاية عمر رضي الله عنه لكفاه.

رجاء وسليمان:

هذا ما يعرفه الناس، ولكن الحقيقة تكمن في أنَّ ولي عهد سليمان كان أيوب بن سليمان الذي توفي قبله، فبقي كرسي ولاية العهد شاغرًا، إلى أنْ حضرت الوفاة سليمان، فأراد أنْ يكتب العهد لابنه داود، وهو صغير لم يبلغ الحلم، فدخل عليه رجاء بن حيوة يعوده، فاستشاره في الأمر، فقال له: "يا أمير المؤمنين؛ إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على الناس الرجل الصالح". فَهَمَّ سليمان أن يكتب بالعهد ليزيد بن عبد الملك، فقال رجاء: "هو غائب بالقسطنطينية، ولا تدري أحي هو أم لا؟" فقال سليمان: "والله لأعقدن عقدًا ليس للشيطان فيه نصيب، ما ترى في عمر بن عبد العزيز؟" قال رجاء: "أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً". قال سليمان: "هو على ذلك، ولئن وليته ولم أول أحداً سواه لتكونن فتنةٌ ولا يتركونه أبداً عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده". فأشار رجاء على سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر ليسكن آل عبد الملك بذلك.

فكتب سليمان كتاب العهد وختمه وأرسل إلى كعب بن جابر صاحب شرطته، فقال: "ادع أهل بيتي"، فجمعهم وقال لرجاء: "اذهب بكتابي هذا إليهم، ومرهم أن يبايعوا من وليت فيه"، ففعل؛ وبايعوا رجلاً رجلاً، ولم يعلموا من في الكتاب.

وهنا يظهر ولاء رجاء لسليمان حتى ضد عُمر، إذ أنَّ عمر بن عبد العزيز جاءه (وهو صاحبه) مرتين، الأولى مستفسرًا، والثانية قال له صراحةً: "أخشى أن يكون أسند إلي من هذا الأمر شيئاً؛ فأنشدك الله إلا أعلمتني إن كان قد وقع حتى أستعفى قبل أن يأتي حالٌ لا أقدر على ذلك فيها". فقال رجاء: "ما أنا بمخبرك". فذهب عنه عمر غاضبًا، وقد كان بمقدوره كشف الأمر لعمر في المرة الأولى من باب الصحبة العميقة التي كانت بينهما.

ويظهر ولاء رجاء للحاكم حين يأتيه هشام بن عبد الملك فيطلب منه أن يعرف ما في الكتاب فيرفض بنفس الرفض، ولو أنَّ ولاء رجاء كان لمصلحته الشخصية لأخبره، فهشام في النظر إلى صنائع المعروف من أصحابه أفضل من عمر الذي يراقب الله أولاً.

ولما مات سليمان دخل عليه رجاء وأغمض عينه، وأغلق الباب، وأرسل إلى كعب، فجمع بني أمية في مسجد مرج دابق،

فقال رجاء: "بايعوا!" فقالوا: "قد بايعنا مرةً". فقال: "بايعوا أخرى، هذا عهدٌ من أمير المؤمنين"، فبايعوا الثانية. فلما بايعوا قال: "قوموا إلى صاحبكم فقد مات"، فاسترجعوا، ثم فتح الكتاب وقرأه عليهم، فلما ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام: "لا نبايعه والله أبداً"، وهنا يظهر ولاء رجاء لأمر الأمير القديم، وللأمير الجديد حين يقول لابن الخليفة وأخو الخليفة: "أضرب والله عنقك. قم وبايع"، فيقوم هشام مرغمًا وهو يجرجر رجليه.. ويبايع.

وتتجلى صورة الولاء للخليفة السابق في تثبيت الأمر للخليفة الجديد حيث يستمر رجاء في تنفيذ الأمر حتى يجلس عمر على المنبر للمبايعة، إذ يقول عن ذلك: "وأجلست عمر على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه، وهشام يسترجع لما أخطأه، فبايعوه".

ومن المهم أنْ نذكر أنَّ ولاء رجاء لسليمان لم يكن مقتصرًا على هذا الموضع فقط، إذ أنَّ ولاء رجاء يبدو جليًا في سيرة رجاء وفي سيرة سليمان، فقد كان كاتب سليمان ووزيره، وكان دليلاً له على الخير والصلاح، وأزعم أنَّه سبب كثير من أفعال سليمان الإصلاحية، وما تولية عمر بن عبد العزيز إلا إحداها.

رجاء وعمر بن عبد العزيز:

لم يكن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كبقية خلفاء بني مروان، مع كونه من أكابر أمرائهم، فقد نشأ عمر نشأة مختلفة عن بقيَّة أُمراء بيوت بني مروان، فكانت نشأته في المدينة، بين علمائها وفقهائها وجيران الرسول الكريم ﷺ، المهم أن عمر لم يكن خليفة عاديًا، فهو ابن عبد العزيز من زوجه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب عليه السلام، وهو من مواليد المدينة، رافق والده في رحلته إلى الشام بعد وقعة الحرّة، ثم إلى مصر لمَّا وليها عبد العزيز، وبعدها أستأذنه في الإياب إلى المدينة لطلب العلم، وبقي فيها إلى وفاة والده، فاستلحقه عبد الملك بن مروان وزوَّجه ابنته أم عبد الملك فاطمة بنت عبد الملك.

ومن المهم أنْ نعرف أنَّ أخته أمَّ البنين كانت تحت الوليد بن عبد الملك، وأنه كان مقربًا من عبد الملك، بل وأحبَّ إليه من بنيه، مما جعله قريبًا من بيت الحُكم، عدا أنَّ علاقته بسُليمان بن عبد الملك، وثقته به، ومعرفته لصدقه، وعرفان سليمان له بالجميل إذ أنَّه وقف في وجه الوليد حين قرر عزله وتولية ابنه بدلا منه، كل تلك الأمور، جَعَلَتْه دانٍ من سليمان، حتَّى كانَ وزيره.. ومن ثمَّ مُستَخْلَفَهُ على المسلمين، ونستطيع أنْ نقول أنَّ عمر كان شخصية ورائية لسليمان أيضًا.

وأستطيع أن أقول أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان مقربًا من الخلفية، عدا ذلك فمعرفته وخبرته في الناس والتي تأتّت له من مخالطتهم في المدينة عند طلبه للعلم، وعندما كان واليًا عليها بعد ذلك، جَعلتْهُ أَعلم بأحوالهم وشؤونهم.

لّما ولي رضي الله عنه الخلافة بدأ بإدارتها بمنهج نبوي سديد، بدايةً من نفسه، وانتهاءً بأدنى الرعية، وأعمَّ العدل حتى على أعداء الخلافة وخصوم الدولة.

أمَّا بالنسبة لأُمراء بني أميَّة، فقد كسَر عُمر جَبَروتَهُم، وساواهُمْ بالرَّعيَّة.. فقد قَطَعَ المُخَصَّصاتِ التي كانت تصرف من بيت المال، بل وأرجَعَ حتَّى حليَّ النِّساء منهُم إلى بيت المال.. لأَنَّها أُخِذَتْ منهُ بغير وجه حق، مما أثارَ حَنَقَ الأُمَراءِ عَلَيْهِ، بل وحقدهُم نحوه، فلم يصفُ لَهُ إلا مَسْلَمَة بن عبد الملك رحمه الله - كما يُروى- ، وقد كان الخلفاء من بني أمية يمنعون الأسرة الحاكمة من الاستقرار خارج دمشق، ولكنهم في عهد عمر ضاقت بهم الحال حتى طلبوا منه أنْ يسمح لهم فيهاجروا إلى خارج دمشق فسمح لهم بذلك.

كل هذا جعل بعضَ أمراء بني أمية - كما يرى بعض المؤرِّخين- يُغرون بِدَسِّ السُّمِّ لَهُ، فيكونوا سببًا في استشهاده عليه رضوان الله.

وكما كان أثر خلافة عمر رضي الله عنه سلبيًا على معظم أمراء بني أميَّة، كان أثره على الرعية والدولة إيجابيًا، فيذكر أنَّ الزَّكاة كانت تُحمَل على الإبل ويُنادى بها في الطرقات فلا تجد آخذًا لغنى الناس عنها.. حتَّى أنَّه كان يُعتَق بها العبيد والإماء.

وفي كل هذه المواقف كان رجاء بن حيوة حاضرًا، بقرب عمر، يشد من أزره، فهو صاحب قصة السراج مع عمر، حين قام ليوقده فحلف عليه عمر أن لا يفعل، وقام بنفسه فأصلحه، فقال له: "تقوم أنت لذلك يا أمير المؤمنين؟!"، فقال: "قُمتُ وأنا عمر وعدت وأنا عمر"، وهو صاحب قصة الثوب الخشن مع عمر، حين جاءه وهو خليفة بثوب من الصوف اشتراه بست دراهم، فقال له عمر: "ما أحسنه لولا نعومة فيه" فدمعت عينا رجاء وقال: "أتيتك بثوب من الحرير أيام أمارة المدينة فقلت: "ما أحسنه لولا خشونة فيه، وآتيك الآن بثوب من الصوف فتشتكي نعومته!!"، وقصصه مع عمر بن عبد العزيز كثيرة.

أبو مسلم الخراساني

كما قامت دولة بني مروان على حسٍّ الحجاج بن يوسف بطشًا وجبروتًا، فقد قامت دولة العباسيين على عاتق شخصية مشابهة، هي أبو مسلم الخُراساني.

كان أبو مسلم الخُراساني مملوكًا لبكير بن ماهان (أحد كبار دعاة الدعوة العباسية)، ولا يُعْلَم اسمه الحقيقي، أهو عبد الرحمن أم إبراهيم، اشتراه بكير من سرَّاج، لذا فقد كان يلقب بغلام السرَّاجين، وهو فارسي، أهداه بكير للإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ليقوم على خدمته.. لِمَا أحس فيه من النجابة والنباهة، والتقديس للبيت الهاشمي، وقد كان أبناء الإمام وإخوته هم من يقوم على خدمته قبل ذلك.

وقد أظهر أبو مسلم نبوغًا وذكاءً جعله مقرَّبًا من الإمام رغم صِغر سنِّه، ويبدو أنَّ طموحه كان أكبر من أي شيء آخر. فقد وصل به الأمر في عهد الإمام إبراهيم أن أصبح كبير الدعاة على الإطلاق، مما أوغر صدور بقية الدعاة عليه، وبالأخص سليمان بن كثير كبير دعاة خُراسان، إذ أنَّ أبا مسلم الخُراساني

نزل بخراسان رئيسًا عليه، وسليمان يُعَدُّ من سادات العرب في خراسان، ومن أمراء الدعاة العباسيين وقادتهم.

كان أبو مسلم فطنًا لكون المنتمين إلى الدعوة عاطفيي الإنتماء، وهو في فترة الدعوة كان يمثل الشخصية الوراثية للإمام إبراهيم بن محمد، إمام الدعوة العباسية السرية في ذلك الوقت، وكان قد قاس ولاء شيعة الدعوة، وعلم أنهم في لحظة الحسم سينفضون عنها، فقام باستغلال أمر آخر أكثر خطورة من الإيمان بالدعوة، وهو الحرب العرقية الناشبة بين اليمانية والمضرية في خراسان، وكان المضرية - وعلى رأسهم "نصر بن سيار" والي بني أمية على المشرق- قد ساموا اليمانية خسفًا.

وفعلاً كوَّن أبو مسلم جيش الدعوة معتمدًا على اليمانية ومن طاوعه من رجال الدعوة، وأعلن العصيان.. وتولى أمر خُراسان، وبدأ بتصفية رجالات الأمويين، ومن خالفه من رجالات العباسيين، وأرسل إلى الحُميمة[1] بإتمام الأمر، فبدأ العباسيون بالتَّجهُّز للخروج إلى الكوفة.

---

١) وهي قرية من قرى الشام، كان يسكنها آل محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وكانت مقر الإمام محمد ومن بعده ابنه إبراهيم.

واتجه كذلك أبو مسلم إلى الكوفة، وأعلن أبو سلمة الخلاّل كبير الدعاة العباسيين في الكوفة الثورة، وبدأ بالتجهُّز لاستقبال إبراهيم الإمام.

ولكن مروان بن محمد الخليفة الأموي اكتشف الإمام الحقيقي حين أمسك بمرسول له كان يتجه لأبي مسلم برسالة سرية، فأرسل إلى الحميمة لقتله، وقُتل فعلاً، وقد كان سمَّى للإمامة من بعده أخوه أبو العباس عبد الله، والذي استطاع أن يفرَّ إلى الكوفة، ومن معه من البيت العباسي، فأخفاهم أبو سلمة الخلاّل في ضيعة كانت له، ومنع أن يدخل عليهم أو يعلم عنهم أحَد، وكان يضمر في صدره أن ينقل الأمر إلى يد البيت العلوي، فأرسل بذلك إلى مجموعة من العلويين، منهم الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين؛ ولكن العلويين رفضوا جميعًا تولِّي الأمر.

وفي نفس الوقت وَصَلَ أبو مسلم إلى الكوفة، وعلم عن وصول الإمام، وذهب وأخرجه وبايعه، وأصبح الخليفة الأول أبو العباس السفاح، كما لقَّب نفسه في أوَّل خطبة له.

لم ينسَ أبو العباس ما قام به أبو سلَمة، ولكنه حين جاءه وطلب منه الأمان وبايعه، قَبِلَ منه الخليفة ذلك، وأوكل إلى أبي

مسلم تصفية الخلاَّل، وفعلاً صفى أبو مسلم الخلاَّلَ حسب أوامر الخليفة السرِّيَّة. إذ أنَّ الخليفة لا يستطيع أن يقتل الخلال وقد أعطاه الأمان، ولكن أبامسلم كان يستطيع القيام بهذا العمل الدنيء (قَتْل الرجل الذي أمَّنه الخليفة) دون أن يحاسبه أحد.. فمن يستطيع محاسبته إلا الخليفة، وهل سيحاسبه على ما كلَّفه به؟!

تمَّت لبني العباس السيطرة على المشرق الإسلامي برمَّته، بينما كان مروان منشغلاً بقمع ثورات أخرى، عندها أدركَ أنَّه كان يجب أن ينسى كل تلك الثورات ويئِدَ هذه الثَّورة في المهد.

بدأت الدولة الجديدة عمليات إبادة الأمويين بقيادة عبد الله ابن علي، عمِّ الخليفة، والذي سنتطرق له فيما بعد، أمَّا أبو مسلم فقد آثر أبو العباس أن يُبقيَه قريبًا منه مع الجيش الذي أسَّسه الخراساني بيديه في خُراسان.

وقد قويت في نفس أبي مسلم نرجسيَّته، فبدأ يتصرَّف في الدَّولة من غير الرجوع إلى الخليفة، وبدأ يحتفظ بالخَراج تحت يديه، وتطاوَل إلى أنْ وصل إلى درجة أن يكتب إلى الخليفة يخطب منه أخته آمنه، وهنا بدأ المنصور - كما تقول بعض الروايات- يحاول التخلص منه، أما أبو العباس، فكان يحسب الحساب لقوته التي زادت عن الحد المعقول فآثر تجاهل كتابه هذا.

وحدث أن أَرسل الخليفة الأول نائبه وولي عهده أخوه أبو جعفر إلى خُراسان لبعض الأمر، ولكن تَجَاهُلَ الخُراساني لولي العهد بلغ حد الغضب لديه، بيد أنه كظم غيظه ليبتعد عن صدام لم يأمر به الخليفة، خصوصًا وأنَّ الجيوش موزَّعةٌ بين أبي مسلم وعبد الله بن علي العباسي.

ويموت الخليفة الأول.. فيفكر أبو مسلم في إعلان دولة مستقلة.. والاستقلال عن العباسيين، وفي نفس الوقت يعلن عبد الله بن علي التمرد والعصيان ويعتصم بِحرَّان، وأبو جعفر في العاصمة لا جند ولا سلاح، ولكنه يملك دهاءَه.

وبدأ أبو جعفر يتصرف من واقع خبرته، فأمر أبو مسلم أن يقضي على عبد الله بن علي، وخاطبه خطابًا لينًا، فأي الرجلين انتصر تمكن هو من الآخر، وكان في نفس الوقت يفكر في إبعاد أبي مسلم عن المشرق، فقوته تكمن في خُراسان، وإبعاده عنها سيقلل من خطره، وبدأ الخليفة بتجهيز جيش آخر يمكنه من حماية نفسه وملكه، ويزرع الهيبة في نفوس القادة الذين لم تعد له في نفوسهم هيبة بسبب بُعده عن اتخاذ القرارات في عهد أخوَيه، وبسبب تولّي أخيه أبي العباس السفاح للسلطة مع وجوده، وهو الأخ الأكبر بين الرَّجُلَين.

وفعلاً نفّذ أبو مسلم طلب الخليفة، وقضى على ثورة عمّه الذي فرَّ واحتمى بأخيه سليمان بن علي، فجمع أبو مسلم ما كان لدى الجيش من أموال وحملها وأزمع الرجوع إلى خُراسان، وإذا برسول الخليفة يأتيه بكتاب يولّيه فيه أمر الشام ومصر، فقال أبو مسلم: "يُوَلِّيْنِي الشام ومصر وخُراسان لي!!". فما كان من الخليفة إلا أنْ أرسل من يحصي أموال جيش عبد الله بن علي، فغضب أبو مسلم من ذلك وقال أول مقولة أظهرت الجفوة بين الرجلين: "أنا أمين على الأرواح.. خائن في الأموال!" وسبَّ أبا جعفر.. وتصاعد الموقف، ودعا الخليفة أبا مسلم للقدوم له، فرفض وخاطبه بخطاب اختفت فيه لهجة آداب العامة، فضلاً عن آداب الولاة مع الخليفة، وبدأ تحركه ليعود إلى خُراسان، فما كان من أبي جعفر إلا أنْ أرسل لأبي داود بن إبراهيم بن خالد، نائب أبي مسلم على خُراسان، وعينه واليًا على خُراسان وأنبأه بأنه عين أبا مسلم على الشام ومصر، وخرج الخليفة إلى المدائن، وأرسل لأبي مسلم من أنبأه أنه ينتظره في المدائن، فلما رفض، استخدم الرسول أسلوب التهديد والوعيد، وجاءه - في هذه الأثناء- كتاب من أبي داود نائبه على خُراسان ينصحه فيه بالتعريج على الخليفة واسترضاءه، فالدولة والأمر كانا لبني العباس وليس لأبي مسلم، وأبلغه أنّه سيسد أبواب خُراسان في

وجهه ولن يدخلها إلا بإذن أبي جعفر، وبهذا قُطع الطريق على أبي مسلم واضطر إلى أن يُعرِّج على المدائن ليقابل الخليفة.

وكان أبو جعفر علم يقينًا أنَّ أبا مسلم لم يَعُد مخلصًا للخلافة أو الخليفة، فدبَّر مكيدة لقتله، فأخفى رجالاً خلف ستار القاعة وأمرهم أن يخرجوا فيقتلوا أبا مسلم حين يسمعون تصفيق الخليفة.

ولمَّا وصل أبو مسلم للقصر، وحاول الدخول مع جنده، منع الحرس جنده من دخول القصر، فأوقفهم أبو مسلم بالباب، وأبلغهم أنه إن لم يخرج قبل صلاة العصر، فليعودوا للجيش وليخربوا المدينة، ودخل هو مجردًا من سلاحه على الخليفة، فاستقبله أبو جعفر وأكرم وفادته، وبدأ يعاتبه على ما فعل، فلما وصل إلى قضية قتل أبي مسلم لكبار دعاة العباسيين وعاتبه فيها، اعتذر أبو مسلم قائلاً: "خالفوا أمري فقتلتهم"، فغضب أبو جعفر وردَّ عليهِ: "تُخالَف فَتَقْتُل وأُخالَف فلا أقتل!!".. وصفق بيده وكأنَّه موتور من ذلك، فبرز الجند وبدأوا بتقطيع أبي مسلم، فلما مات خُلع خاتمُه، وخرج به عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس، ولي عهد أبي جعفر (والشخصية الورائية في قتل أبي مسلم) خرج بالخاتم لجنود أبي مسلم، وأراهم إياه وقال

لهم إن أبا مسلم يأمركم أن تعودوا إلى معسكركم، فهو يبات لدى الخليفة الليلة.

وفي اليوم التالي أصبح جند أبي مسلم وإذا بعسكر الخليفة يحيطون بهم وإذا بالخليفة يُنبِّؤهُم أَنَّ من أراد أن يلحق بجيشه فليلحق، ومن أراد أن يلحق بأهله فليلحق.. فقد قتل أبو مسلم، وكان جنود الخليفة قد أشهروا سيوفهم، فلحق معظم الجيش بالخليفة.

وبهذه النهاية المريرة تنتهي أسطورة أبي مسلم بعد أن وطّد الدولة وحمى حماها، وتظهر بعد ذلك بأيام فرقة (الراوندية) والتي تَعْتَبِرُ أبا مسلمَ إلهها في خُراسان، وتقرر الثأر لأبي مسلم، وتنزل بحي الهاشمية بالكوفة، مقر دار الخليفة، وتحاصر دار الخلافة وتطالب بقتل الخليفة، فيبرز لهم الناس ويقاتلونهم ويقضون عليهم، فتنتهي بهذا قصة أبي مسلم مرتين.. مرة بقتله، ومرة بالقضاء على (عباده من دون الله).

إنَّ خروج هذه الفئة، ومحاولة استئثار أبي مسلم بالخلافة، يطرحان تساؤلا خطيرًا حول شخصية هذا الأمير المسلم، هل كان أبو مسلم مسلمًا حقًا، أم كان يتخذ من الإسلام وسيلة ليصل إلى السلطة فيعلن دولة مجوسية؟

أسباب قتل أبي جعفر لأبي مسلم:

1) قوة أبي مسلم.. واتباع خُراسان كلها له.. وانفراده بالقوة بعد القضاء على عبد الله بن علي.
2) استئثاره بالأموال.. وتأمينه للجيش المهزوم دون إذن الخليفة.
3) شتمه للمنصور ولآل العباس، علنًا، وفي الرسائل التي وجهها للمنصور بعد تفريق شمل عبد الله بن علي.
4) إعلانه نقض البيعة لآل العباس وشتمه للخليفتين والأئمة من آل العباس.
5) عدم قبوله ولايتي الشام ومصر، وإدعاء مُلْكِيَّةِ خُراسان وسيره إليها دون إذن من الخليفة.
6) سوء أدبه وتطاوله على مقام الخلافة.
7) خلعه لبيعة أبي جعفر.
8) قتله وسفكه للدماء دون مبرر، وأهم ذلك دماء كبار الدعاة، خصوصا من كانوا وجهاء خُراسان، والعرب منهم أمثال سليمان بن كثير وإبراهيم بن ميمون.

إنَّ أبا مسلم يعد نموذج للشخصية الورائية التي أملت في يوم من الأيام أنْ تكون شخصية أمامية، لأنها ذاقت طعم السيطرة، ولكنه لم يحسب قوة عدوه الحساب الكامل، فكان أنْ

خسر أمام خصمه الأضعف، عدا أنَّه كان يدين بالولاء لإبراهيم الإمام بن محمد ابن عباس، ورأى نفسه مساوٍ في المنزلة لأبي العباس السفاح، وأبي جعفر المنصور، بل أحس أنَّه أعلى منزلة من المنصور، وأنَّ شخصية المنصور التي اعتقد أنَّها ضعيفة ومُهمَّشة لمجرد رضاه أنْ يتولى أخوه الأصغر أبو العباس قبله، لن تصمد طويلا أمام العظمة التي أسسها في خراسان، وأنَّه سيسلِّم له بمملكة خراسان بعيدًا عن العباسيين، ولكن ما كان غير ذلك بالكلِّية.

عبد الله بن علي ابن عباس

إن كان أبو مسلم ركيزة الدولة العباسية الفارسي، فعبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس كان الركيزة العربي، وإن كان مروان بن محمد الأموي لُقِّبَ بالحمار لإقدامه في الحروب وشجاعته، فقد كان عبد الله بن علي أجرأ منه في الحروب، وأجرم من ابن أخيه عبد الله السفاح، لذا فقد لُقِّب بسفَّاح دمشق، أو سفَّاح بني أميَّة.

فبمجرد قيام الدولة وظهور أمرها قام عبد الله بقيادة الجيوش التي تولت أمر مجازر الأمويين، ويقال أنه كان يُأَمِّنُهُم ثم يقتلهم بمذابح جماعية.. ولكنه وبلا ريب غسل ثأر أبو هاشم بن محمد بن الحنفية، والذي ظن أنَّ سليمان بن عبد الملك سمَّه، وابن أخيه إبراهيم الإمام بن محمد، الذي أعدمه مروان بن محمد حين علم أنَّه الإمام المستتر للدعوة العباسية، غسل ثأرهم بدماء كل الأمويين الوجوه، فلم تبق إلا قلة قليلة لا تنتمي للبيت المرواني إلا من طيف بعيد جدًا.

لما ولّى محمد بن علي الدعوة لابنه إبراهيم، ولّى إبراهيم أخاه أبا العباس الأمر من بعده، ولم يعترض أحدٌ من بني علي بن عبد الله بن عباس، لأنَّ الفترة كانت فترة تأسيس، ولأنَّ الأمر كان لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبنيه، أي لأخيهم وبنيه وليس لأبيهم.

ولما توفي أبو العباس، وكان قد استخلف أبا جعفر من بعده، غَضِبَ عبد الله بن علي لذلك، فهو المرشَّح الأقوى، والباقي الأكبر من بني علي بن عبد الله بن عباس، ومن أخذ على عاتقه القضاء على جموع بني أمية، ذلك عدا كونه أحد الركائز الرئيسية التي قامت عليها دولة بني العباس، فكيف يحظى بالخلافة غيره؟! وبدا واضحا أنَّه يستخف بالمنصور، وأنَّه سيشق عصا الطاعة على ابن أخيه، وسيقسمها وهي لم تقم بعد، وسيحكم بأي ثمن، فكان لزامًا على أبي جعفر - والذي لا يجد تحت يده جيشًا- أن يقضي عليه بحزم، فوجَّه أقوى القُوَّاد للقضاء عليه، فكان أن سلَّط عليه أبا مسلم الخرساني، وكان عبد الله معتصم بحرَّان، فانتصر عليه أبو مسلم، مما جعله يفر ويلجأ إلى سليمان بن علي، الذي أمَّنه وأرسل إلى الخليفة بذلك، فأمره بحبسه ومراقبته، ففعل، ثمَّ حَمَلَهُ إلى العاصمة وبقي بها إلى حين.

وكانت ثورة محمد النفس الزكية ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، فأراد المنصور المشورة.. فعلم أنها لا تكون إلا لدى رجل دولة محنَّك كعمه القائد السابق عبد الله بن علي، الذي ردَّه قائلاً: "لا مشورة لأسير"، فقال المنصور: "والله لو وصلوا عند بابي ما أخرجتك، ولكني ابن أخيك وهذا ملك بني العباس"، فأثار المنصور عصبيَّته بذلك، فأشار عليه عبد الله بما أبقى الأمر في يده، حيث قال له: "اخرُج من فورك إلى الكوفة حتى لا يثور عليك أهلها، وأحِطها بالجنود فلا يُدخَل إليها ولا يُخرَج منها، وأغدِق الأعطيات على جندك في الشام واستدعهم"، وفعلاً عمل المنصور بنصيحة عمِّه فاستتب الأمر له وقمع ثورة النفس الزكية وأخيه إبراهيم.

وكان أبو جعفر يرغب في التخلص من ولي عهده عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس، ليعيِّن ولده محمد المهدي مكانه، فأوكل إليه حراسة عبد الله بن علي، وأمره بالسر أن يقتله، ولكن عيسى لم يفعل، وأخفى عمَّه في بستانٍ له.

فلمَّا طلب بنو العباس من الخليفة العفو عن عبد الله بن علي أصدر عفوه عنه، فلما سأل عيسى عنه، قال عيسى: "نفذت فيه أمرك"، فكذَّبه الخليفة، فما كان من عيسى إلا أنْ أخرج عمه من البستان وأحضره، فغضب الخليفة، ووضع عبد

الله في دار كانت في بستان له تحت الإقامة الجبرية، ولم يلبث أن مات عبد الله في السجن بطريقة مختَلَفٍ فيها بين القتل والموت والسم وتهدم السجن عليه.

لقد كان عبد الله بن علي الشخصية الورائية في القضاء على بني أمية لابن أخيه السفاح، إلا أنَّه أنف أنْ يؤول الأمر لابن أخيه المنصور، فقرر مستخفًا به أنْ يأخذ الخلافة منه، ولم يحسب - كما في حالة أبي مسلم- حسابًا للمنصور الذي استغنى عن أي شخصية ورائية، فكان هو شخصية نفسه الورائية.

أسرة البرامكة

أول برمكي وصل إلى العباسيين كان خالد البرمكي، وهو مجوسي أسلم، فحسن إسلامه، ويقال أنَّ الأسرة البرمكية كانت من سدنة النار المقدَّسة، إلا أنَّ كبيرهم أسلم، والتحق بالعباسيين فقربوه، وكان ذو حظوةٍ عندهم.

ثمَّ مات، فاستوزَروا ابنه يحيى، وكان من أقارب مراجل أمِّ المأمون بن الرشيد، وهو الذي تولى تربية الرشيد، لذا كان يناديه (بأبتِ)، وكان ذو حظوة عند الرشيد، حتى بلغ هو وبنيه أعلى الرتب والمناصب.

وتبدأ علاقة يحيى بن خالد بالعباسيين مع المهدي، وكان أنْ ولَّى المهدي ابنه الهادي وهو صغير ولاية العهد، وعقد من بعده العهد لأخيه هارون الرشيد، الذي كان - رغم صغر سنه- قائدًا للجند، وقد أبلى - وهو الشاب اليَفَع- بلاءً حَسَنًا في قيادة الحروب، مما جعل والده يفكر في عزل الهادي وتعيينه مكانه في أواخر حياته.

استمر هارون يغزو عامًا ويحج عامًا.. حتى كسر أنوف الروم.. ورفع اسم الدولة، ودفع أباطرة القسطنطينيةُ الجزية للدولة العباسيَّة.

ولما توفي المهدي وتولى الهادي الأمر، أصبح هارون والي خُراسان، وكأنَّ ذلك كان عُرفًا أنْ يكون ولي العهد هو حاكم خُراسان، وأن يكون - بالطبع - أميرًا عباسيًا، لقد نزل هارون في خراسان بالعدل، وتعامل مع (أخواله) معاملةً حسَنة.

وفي هذه الأثناء يُقسم الهادي على قتل يحيى بن خالد البرمكي، ويظل السبب مخفيًا يدور بين أسباب منها:

الأول: كانت أم الهادي: الخيزران، قد وليت الأمر حين كان الهادي صغيرًا باسمه، فلما كبر كان الوزراء يدخلون عليها ويختمون بختمها، فأقسم الهادي أنَّ من يدخل على الخيزران يُقتل فكان يحيى أول من دخل.

الثاني: أنَّ الهادي أراد عزل هارون من ولاية العهد وتعيين ابنه جعفر، وباركَ أمراء ووزراء العباسيين ذلك، إلا يحيى بن خالد والخيزران، وأشار يحيى على الهادي بأنْ يستخلف جعفر

بعد هارون، خوفًا من أن يستخفَّ الناسُ بالأَيْمان[1]، ولكن هذا لم يعجب الهادي، لذا أراد أنْ يقتل يحيى، والذي فرَّ واعتصم بهارون، فلما بلغ ذلك الهادي رآه سببا، فأقسم أنْ يعزل الرشيد ويعيِّن جعفر، ولكنه مات قبل ذلك.

الثالث: وهو توفيق بين الأول والثاني، إذ يُروى أنَّ يحيى حينما علم بأنَّ الهادي ينوي عزل أخيه دخل على الخيزران، وكلمها في الأمر، فحبسَه الهادي، ثُمَّ أخرجه لَّما أشار على الهادي بأن يستخلف جعفر بعد هارون، ففر يحيى إلى هارون وأبلغه بالأمر، وكان الهادي دعا هارون، فلما دخل عليه جلس بعيدا عنه فقال له: "يا هارون، أتطمع أن تكون خليفة حقًا؟" فقال له: "أي والله، ولئن كان ذلك لأصلنَّ ما قطعتَ، ولأُنصفنَّ من ظلمت، ولأزوجنَّ بنيك من بناتي"، فقال: "ذلك الظن بك"، فقام هارون وقبَّل يده فحلف الهادي أن يجلس على العرش بقربه، وأكرمه.

ومات الهادي.. وتولى الرشيد، فقرَّب البرامكة، حتى كان يحيى بن خالد الوزير الخاص.. وأحد القلَّة الذين يدخلون على الخليفة في خلواته، ومن يتحكم في الدولة باسم الخليفة؛

---

١) والمقصود هنا يمين العهد الذي كان لهارون.

وشخصية وراثية له، وكان يملك ما لا يملك غيره، سواءً من القصور أو الضياع أو الدُّور، مما أثار حفيظة الأمراء العباسيين.

أمَّا أبناؤه، وهم من مثَّلوا أيضًا جزءًا من الشخصية الوراثية لهارون، وكانوا سبب النقمة على أبيهم، فهم:

- **الفضل بن يحيى بن خالد**، كان قائدًا لجند الرشيد، ثم واليًا له على خُراسان، وأميرًا للثغور من جهة المشرق، وهو فاتح كابول، وقامع ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن بالديلم، وهو الذي أسس فرقة العباسيين في الجيش، والتي يدَّعي البعض أنَّه أسسها ليسقط حكم الرشيد ويقيم دولة للبرامكة مكانها، فهو كان شخصية عسكرية وراثية للرشيد إذًا.

- **جعفر بن يحيى**.. شقيق هارون من الرضاع، وصفيُّه ونديمه، وخليله، ووزيره وحامل خاتمه، وواليه على مصر الذي استقال من منصبه ليكون بقرب الخليفة، ويَكْذِبُ البعض أو يَتوهمُ حين يقول أنَّ هارون زوَّجه أخته العبَّاسة (صوريًا) لأنه يحب أن يجتمع بهما معًا، فهارون فقيه لا يمكن أن يقوم بمثل هذا العمل، ومن يتتبع الخبر يكتشف أنَّه ينقطع ككثير من الأخبار المكذوبة على هارون، ثم كيف يزوجه صوريًا ثمَّ يغضب منه لأنه جاء زوجته!! وفي هذا تفصيل سنذكره في موضعه.

المهمُّ أنَّه وبين ليلة وضحاها، بدأ هارون يتغيَّر على البرامكة، فسحب خاتمه من جعفر، واستدعى الفضل بن يحيى من خراسان، ومنع يحيى من الدخول عليه في خلوته، وفجأة لملم البرامكة وأودعهم السِّجن بعد أن قتل جعفر، وترك الفضل يموت، هناك في السجن، وصادر أملاكهم وضياعهم.. ولا تزال هذه الحادثة من الحوادث الغامضة التي يكثر حولها اللَّغَطُ والكذب والافتراء، فقصَّة نكبة البرامكة أمرٌ يبعث على التساؤل والحيرة.

أقوال في سبب نقمة هارون على البرامكة

هناك أقوال منطقيَّةٌ وغير منطقيَّةٍ حول أسباب نقمة الخليفة الرشيد على البرامكة، سنتعرَّض لبعضٍ منها ونفندها:

١) العباسة: أوَّل الأسباب وأقلُّها منطقيَّة وأبعدها عن الحقيقة والصواب: وهو نبأ العباسة بنت المهدي التي كانت أقرب النساء إلى نفس هارون، وأحبُّ آل البيت العباسي إلى نفسه، كما كان جعفر بن يحيى أقرب أصفيائه إلى روحه، وأحبَّهم إليه. ومن هنا يدَّعي البعض أنَّ هارون أحب أن يخلو بالشخصيتين معًا، فزوَّج العباسة لجعفر، بشرط أن لا يمسَّها، ولكنه فعل..

وحملت وأنجبت ولدًا، فما كان من جعفر إلا أن حمله إلى مكة مع إحدى الجواري، والتي حقدت على العباسة فوشت بالأمر عند هارون، فنقم على كل البرامكة. وهذا الأمر غير معقول من عدة وجوه منها:

- العباسة أقرب النساء إلى هارون، وأحب أخواته، ومن المنطقي أنْ يعزها ويجلها، لا أنْ يزوجها لمجرد أنَّه أحب أنْ يجتمع بها وبجعفر.
- كانت العباسة متفقهة، وكان هارون فقيهًا متعمقان في الفقه، فإنْ جاز أنهما فعلا ذلك من باب الشهوة، فهو لا يجوز من باب التقوى.
- الهاشميون لم يكونوا يزوجون بناتهم إلا لمن هم نظراء لهم، فكيف إذا كانت البنت هي بنت الخلفاء وأخت الخلفاء!
- يقال أن هارون كان يحب أن يخلو بالشخصين معًا، فكيف لم يلحظ انتفاخ بطن أخته من الحَمْلِ أبدًا!!
- والأهم، إنَّ العباسة وهارون وجعفر إخوة من الرضاع، إذ أنَّ مرضعة هارون والعباسة هي أم جعفر، فكيف يزوج هارون أخًا لأخته؟!
- إنَّ هذا السبب كذب صراح وأقل من أن يصدَّق.

٢) تجبُّر البَرامكة: وكثرة أملاكهم ومساواتهم أنفسهم بالأمراء العباسيين، وتحكمهم بالسلطة، وإلغاؤهم تقريبًا لشخصيَّة الخليفة، مما جعل هارون ينقم عليهم، إذا ذكرنا أنهم كانوا أكثر أصحاب الضياع حجمًا وجمالاً، وأصحاب أكبر القصور في الدولة، وكانت أعطياتهم تزيد عن أُعطيات الخليفة نفسه في بعض الأحيان.

٣) الخيانات: والتي تضاف على العنصر السابق، فذكر أنَّ هباتٍ كانت للبرامكة من الخليفة بختمه الذي كان يحمله جعفر دون علم الخليفة، وذكر أنَّ جعفر كان على علاقة بميمون القداح والثلّة التي كانت تفتري الحديث على رسول الله ﷺ، وتفتري الأخبار على الخليفة، وأنَّ هذه الثلّة كانت تُمَجِّدُ جعفرًا لأنه حفيد سدنة النار، وهي التي كانت تعمل لقلب نظام الحكم وتدمير الدولة الإسلامية، وإحياء عبادة المجوس للنار.

٤) الفضل بن يحيى وما دار حوله: يقال أن الفضل كان يتصرَّف في خراج الولاية وكأنَّها خاصَّة أمواله، علاوة على ذلك فقد هاجم إحدى الإمارات التي كانت على عهد مع المسلمين، وسبى بنت الملك واعتبرها جارية له، فلما علم الخليفة بذلك غضب عليه، ويقال أيضًا أنَّ هارون اكتشف السبب وراء إنشاء فرقة العباسيين في

الجيش، وأنَّ كَونَهُمْ من العجم الخلص، ويُقْسِمُوْنَ بالولاء للفضل لا للخليفة، ثم إنَّه حين طلب الخليفة من الفضل المثول أمامه في بغداد، جاء إلى بغداد في موكب الملوك، ومعه الجيش وكأنَّه غازٍ، ونزل خارج المدينة في معسكر جيشه، وكأنَّه يريد غزو بغداد وإرهاب هارون.

٥) فتنة يحيى بن عبد الله بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: والذي قام بثورةٍ في الديلم، فقبضَ عليه الفضل بن يحيى، وأرسله إلى الخليفة الذي أودعه عند جعفر بن يحيى في الحبس، وكان أن خوَّفَ يحيى جعفرَ بالرسول ﷺ، وقرابته به، فقرر جعفر أن يخلي سبيل يحيى، وأرسل من يوصله إلى مأمنه كي لا يتعرَّضَ له أحد، فلما علِم الخليفة بذلك أظهر استحسانه لما قام به جعفر، لكنَّه أضمر أن يقتله، وهذا ما كان يُشَكُّ أنَّ البرامكة كانوا متشيِّعين للعلويين، وبدا أنَّ بعض الإشاعات كانت حول محاولتهم نقل السلطة إلى الحسنيين العلويين، أو إلى أنفسهم، فلما اكتشف هارون ذلك قضى عليهم. ويبدو أنْ لا علاقة للأمر بالنكبة، فقد ورد في أكثر من خبر أنَّ هارون كان ينوي إطلاق يحيى، وقد أحسن له وهو في الحبس، وورد أنَّ

هارون قابله وهو في طريقه إلى الحج بعدها فلم يقبض عليه ولم يضرَّه.

ورغم كل ذلك فلم يكن على يحيى أيُّ شبهةٍ تدينه، ولم يَنَل محمد بن خالد أي سوء، إذ أنه كان ناصحًا للخليفة، ولكن يحيى أودع السِّجن مع بنيه وأحفاده وأقاربه من البرامكة، ويقال أنَّ هارون أخرجه من السجن وأحسن إليه في أواخر حياته.

طاهر بن الحسين

لما ولي الرشيد الأمر، أخذ البيعة بولاية العهد لابنه محمد الأمين (ابن زبيدة بنت جعفر.. العربية.. الحرَّة)، مع أنَّه أصغر من أخيه عبد الله المأمون (ابن الأَمَةِ مراجِل الفارسية)، وأخذ البيعة من بعده للمأمون، ثم كتب صكًا بينهما علقه في جوف الكعبة بأن من يخون منهما ويحاول عزل أخيه تسقط البيعة عنه، ويحاربه الناس، وتصادر أمواله، وتعتق عبيده، وأخذ عليهما العهود، فكان عهدٌ على الأمين أن لا يعزل المأمون، وأن ينقل البيعة له من بعده، وعهد على المأمون أن لا يخلَعَ بيعة أخيه وأنْ يحفظ الميثاق والأمان، وأخذ العهد منهما أنْ تكون ولاية العهد بعدهما لأخيهما المؤتمن، وولى المأمون خراسان، والمؤتمن الجزيرة الفراتية (الأقاليم التركية والكردية في شمال العراق وإيران وسوريا اليوم).

وبعدَ وفاةِ الرَّشيد رحمه الله، تولّى الأمين الخلافة، وأصبح المأمون وليًا للعهد، وَعَزَل الأَمينُ أخاه المؤتَمن عن ولاية الجزيرة والثغور، ودَعى لابنه موسى على المنابر قبل المأمون والمؤتمن.

وفي (١٩٥هـ) خَلَعَ الأَمينُ المأمونَ من ولاية العهدِ بتحريضٍ من حاجبه الفضل بن الربيع، وأخذ البيعة لابنه موسى ولقَّبه بالناطق بالحق، ومزَّع كتاب والده، وعيَّن مجموعة من الولاةً مكانَ أخيه المأمون، والذي ترك الأمر في بادئ الأمر وتفرغ في خراسان للمطالعة والتعلم، إلا أنَّ بعض وزرائه بدأ بتحريضه للتحرك، ولكنه لم يتحرك إلا لما تحرك الأمين ليسجنه، وفعلاً بدأ بالتَّحرُّك لتنفيذ وصيَّة والِدِه. وكانَ في الوصيَّة أنَّ بيعة الخائنِ تسقط، ونساؤه تطلق طلقة بائنة، ومماليكه تعتق، وضياعُه ترجع للدولة.. إلى آخر ذلك.

وكان موقف معظم أمراء العباسيين، والوزراء، مع ما قام به الأمين، إلا أنَّ زبيدة بنت جعفر - أمّ الأمين- والعباس بن موسى بن عيسى العباسي، كانا ضدَّ ما قام به الأمين، وكانت زبيدة تنصح ولدها بأن لا يعزل أخاه، ولا يسجنه، إلا أنه لم يُطعها.

ووقعت الفتنة، وبدأ الطرفان بالتَّحرُّك.. كل لعزلِ الآخر، فحرَّك الأمين قائده "علي بن عيسى بن ماهان"، وحرَّك المأمون قائده "طاهر بن الحسين"على رؤوس جيوشهما، فهزم طاهر عليًا وقتله، فعقد الأمين لعبد الرحمن بن جبلة الأنباري في عشرين ألفٍ، وكان مع طاهر ما بقي من أربعة آلاف، ولكنَّه هزمه

أيضًا، مما جعل بغداد تهتز، وجهَّز الأمين جيشًا آخر بقيادة أحمد بن يزيد، وآخر بقيادة حميد بن قحطبة، ولكنهما خسرا دون أن يقاتلا، فقد أوقع بهما طاهر بالحيلة، وتحرك بأمر الأمير ليتسلَّم الأهواز، ويسلِّم "هرثمة بن أعين" - وهو أحد أمراء المأمون- ما تحت يده من الجند.

وهنا يثور الحسين بن علي بن ماهان في بغداد ويظهر على الأمر، ويدعو الأمين لبيعة المأمون، وضيَّق عليه ونقله إلى قصر أبي جعفر، وأخرج أمه زبيدة قهرًا، ولكنَّ الناس انقسموا عليه وقهروه لصالح الأمين، فعفا عنه الأمين واستوزره، لكنه هرب فأرسل له من قتله.

كانت الولايات الإسلامية قد بايعت للمأمون، وحجَّ العباس بن موسى بن عيسى بالناس في ذلك العام ودعا للمأمون، وهرب أمراء عباسيون من بغداد واستأمنوا المأمون بعد أن حاصرها طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين، وكان من بين من هرب المؤتمن، والمنصور بن المهدي، وسيطر جيش طاهر على موارد الدولة، فأصبح الأمين معدمًا حتى مما يصرف به على نفسه.

وسقط الأمين، وأمَّنه هرثمة دون إذن طاهر بن الحسين، مما أغضب طاهر على هرثمة، ولكن مجموعة من العجم قتلت الأمين في قصره، وكان العجم الذين قتلوه من جيش طاهر، وهذا ما أغضب المأمون، ولكنه حفظ لطاهر جميله في تثبيت أركان حكمه، ويخطئ من يقول أنه كان ناقمًا حاقدًا عليه، فكيف يحقد شخصٌ على شخصٍ فيكرمه؟!

لقد كان طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان الشخصية الورائية للمأمون، فهو من قتل الأمين لأجله، ويقال أنَّه أخذ الإذن من المأمون بذلك، إلا أنَّ المأمون أظهر الارتياع حين رأى رأس أخيه أمامه.

ولما نزل المأمون بغداد أكرم طاهر بن الحسين، وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب، حتى نزل المأمون ببغداد، فولاه خراسان والمشرق كله، وظل يحكمها إلى أنْ توفي، فتوارثها أبناؤه من بعده بأمر المأمون، حيث وليَ طلحة بن طاهر مكان أبيه، وتولى عبد الله الجزيرة والرُّقَّة، وقد لعب طاهر بن الحسين وأبناؤه دورًا بارزًا في إخماد فتن المشرق عن المأمون، وفي استقراب الناس للعباسيين، حيث قامت في عهد المأمون (١٥) ثورة وخروج على السلطة، سيطر على معظمها بفضل طاهر وأبنائه.

الإفشين

لم يكن الرشيد يرغب في تولية ابنه المعتصم (ابن الجارية التركية) لا لشيءٍ إلا لكونه عازفًا عن العلم والمطالعة، محبًا للسيف والحرفيَّة أكثر من طلب العلم، ولذا غالى البعض في هذا العزوف إلى أنْ أوصله إلى حدَّ الأميَّة أي أنَّه لا يقرأ ولا يكتب، وهذا كذب صرف، ولكنَّ الأكيد أنَّه لم يكن محبًا للقراءة.

كان المعتصم رجلا شديدًا.. حربيًا قويًا، بدأ بتقريب أخواله، فكان أن أصبح وزراؤه وقادته كلهم أتراكا، ولمع اسم قائديه الفذين: أشناس، و حيدر بن كاوس الأشروسني "الإفشين"[1]، الذي قضى على ثورة بابك الخرَّمي.

وثورة بابك الخرَّمي أشهر الثورات على العباسيين إطلاقًا، قامت في عهد المأمون رحمه الله، في أذربيجان، وحاول الخليفة القضاء عليها بأكثر من طريقة وبأكثر من قائد، ولكنَّه قُبِضَ قبل ذلك.

---

١) والأفشين هو لقب الملك من الأسرة الأشروسنية في (أشروسنة) قبل الإسلام.

كان بابك أحد أبناء الفلاَّحين الفقراء، مجهولي النسب، فالفُرْس لا يهتمون بنسب العوام، بل كان هذا الأمر حكرًا على الملوك والنبلاء والقادة والكهان.

عمل بابك خادمًا لدى أحد المجوس (جاويذان سرهك) والذي كان من دعاة التناسخ، ووجود إلهين: إله النور، وإله الظلام، واشتراكيَّة النساء، وورث بابك هذه المعتقدات من جاويذان كما ورث عنه زوجته، وبدأ بعد ذلك تحركه، وكانت بدايته عام (٢٠١هـ) قبل انتقال المأمون من مرو إلى بغداد.

فلما وصل المأمون إلى بغداد بدأ بتحريك قادته وجيوشه ضد بابك، الذي احتل بعض القلاع والحصون. كان أول من تحرك القائد يحيى بن معاذ والي الجزيرة، ولكن الحرب بينه وبين بابك كانت سجالاً، إلى أن توفي يحيى، فتحرك عيسى بن محمد بن أبي خالد، والي أرمينية وأذربيجان، ولكنه هُزم، فتحرَّك أحمد بن الجُنيد، والذي عقَد له والي أرمينية الجديد زريق بن علي الأزدي، ولكن أحمد أُسر، ثمَّ تحرَّك القائد الفذ محمد بن حميد الطُّوسي، واستمر القتال عامين، ولكنَّ محمد بن حميد استُشهد عام (٢١٤هـ). ثم حرَّك المأمونُ إسحاق بن إبراهيم ليحرز نصره الذي لم يعلم به المأمون، إذ توفي قبل أن تصل الأخبار إلى بغداد.

وفي عهد المعتصم تحرَّك إسحاق بن إبراهيم مرة أخرى وأحرز انتصارات أخرى على بابك. ثم تحرَّك أبو سعيد محمد بن يوسف، وانتصر على بابك أيضًا.

ثمَّ الأفشين، الذي وضع خططه على أسس تدل على دراية عميقة، إذ أنَّه بدأ أولا بالتعرُّف على المنطقة التي سيحارب فيها، فأحكم معرفته، ثمَّ بدأ بالتَّحرُّك، وبدأ بالقتال على طريقة تدل على دهائه وحنكته الحربية، وفعلاً قضى على بابك وحمله مكبلا إلى "سرَّ من رأى"، وهناك تمَّ إعدامه وصلبه.

وكان الناس بدأوا باعتناق الخُرَّمية إثر وفاة المأمون، وقويت شوكة بابك إلى درجة صعَّبت القضاء عليه، وكان له اتصال مع "توفيل ابن ميخائيل" قيصر الروم، والذي كان يمدُّ بابك ويدعمه، وكان جنود بابك إذا خسروا معركة فرُّوا فانضمُّوا إلى جنود الروم الذين يقاتلون المسلمين.

وبهذا انتهت فتنة بابك، بعد أنْ استمرت تستشري لمدة عشرين عامًا، وبعد أنْ حرَّك لها المعتصم كامل جيش الدولة تحت إمرة الأفشين.

وهنا يتحرك الروم لقتال المسليمن، ويستبيحون الثغور، فبدأ المعتصم بتكوين جيش من المتطوعين، إذ أنشأ معسكرًا

خارج (سر من رأى)، وبدأ الناس يتوافدون إليه، وفي هذه الأثناء تسقط "بذ" عاصمة بابك، ويُقبض عليه وتصل الأخبار إلى الخليفة، فيأمر الأفشين باللحاق به إلى أنقرة، ويواجه جيوش الروم من تلك الناحية ، وأرسل "أشناس" على رأس جيش من المتطوعين ليدخل إلى البلاد من الجنوب، وقاد هو جيشًا آخر متجهًا إلى أنقرة، حيث التقت الجيوش الثلاثة، وفتحت المدينة وحررت الثغور.

بعد ذلك قرر المعتصم أن يضرب النصرانية ضربة قاضية، فاتجه إلى عمورية، المدينة المقدَّسة عند النصارى، وهي أقدس من القسطنطينية، ويفتحها ليكسر شوكة ونفس البيزنطيين.

ومن المهم أن نتوقّف قليلا عند الأفشين، لنرى كيف تلاعب بعض كتاب السير (بقصد أو من غير قصد) في ظُلم هذا القائد، فقد وصل إلى قيادة الجند في عهد المعتصم، وهو الذي لقّبه بالأفشين، كما أنّه هو من قضى على بابك الخرمي، وأحد الذين شاركوا في فتح أنقرة وعمورية، وهو الذي يحرك قوة لتؤازر قوة عبد الله بن طاهر بن الحسين في القضاء على ثورة (مازيار بن قاران) أيضًا والتي يقال أنها كانت من نتائج الخرَّمية، وقضى كذلك على خلع "منكجور الأشروسني" والي أذربيجان للطاعة.

ومع كل ذلك فإنَّ هذا القائد الفذ يُقتَل.. أو يموت في السِّجن، ويقال أنَّه سجن في تابوت مبني حتَّى توفي، وسبب ذلك (الزندقة)!! إذ اكتشفت في بيته كتب من ديانة التركمان، فرمي بسببها بالزندقة، عدا أنَّه اتهم بأنَّه من حرَّض بابك، وأنَّه من حرَّض مازيار، وأنَّه من حرَّض منكجور، وأنَّه كان ينوي اغتيال المعتصم، ثمَّ اللحاق بمنكجور وإعلان دولة وثنية للترك هناك، وقتال المسلمين.

ومعظم هذه التهم مردود عليها، فأمَّا الكتُب، فمن الطبيعي أنْ تحوي مكتبة أمير تركي كتبًا بالتركية، ولو كانت عن ديانة وثنية، وهذا لا يعني أنَّه كان ينوي أن يصبأ، وبالنسبة لتُهم التحريض، فكيف يُحرِّض أشخاصًا وهو الذي يقضي عليهم؟! وأمَّا قضية اغتيال المعتصم، وتأسيس دولة وثنية فلا دليل عليها أبدًا.

ويبدو أنَّ السرَّ الحقيقي وراء معاقبته متعلّق بقضية خلق القرآن، أو الاعتزال، والذي كان الخلفاء العباسيون من بعد المأمون يعتقدون به، أو متعلّق بقضية الشعوبية ومعادات الأتراك، إذ أنَّ المحاكمة التي عقدت للأفشين كانت على أيدي ثلاثة قضاة ووزير، كلُّهم معتزلي، قائل بالخلق، عربي، مع أنَّ معظم وزراء المعتصم كانوا أتراكًا.

أو أنَّ ذلك كان بسبب المكانة التي بلغها الأفشين، والتي قد تكون أثارت حفيظة المعتصم، وأرعبت القُوَّاد والوزراء الآخرين.

وتعدُّ أسطورة الأفشين من الأساطير التي قامت على أكتافها الدولة وكان جزاؤها جزاء سنمَّار.

لقد كانت تهمة الزندقة هي التهمة الجزافية التي تقضي على حياة الإنسان دون دليل، ذلك أنَّ محاولات المجوس في إقامة دولة لم تنته، ولذا رُمي بها أناسٌ كثر، أو بمحاولة إقامة دولة.. أو قلب نظام حكم. ولم يكن الخلفاء العباسيون يتعاملون مع هذه الثورات أو الإشاعة التي تقوم على أساس محاولة تمرُّد أو تحريف في الإسلام (الزَّندقة) - ولو كانت الإشاعة كاذبة- باللين، بل كانت معاملاتهم معها شديدة، فالإعدام أقل إجابةٍ لشبهة الزندقة، ولو كانت كاذبة، فأشخاص مثل صالح بن عبد القدوس، والإمام السهروردي، وابن المقفع كلُّهم قتلوا بسبب تهمة الزندقة.

القادة الترك

أول ما ظهر الترك في بلاط الخلفاء كان في بلاط المعتصم، واستفحل أمرهم فصاروا كل رجالات الدولة أو معظمهم في أيام المنتصر بالله بن المتوكل، وسيطروا على السلطة بعد أنْ قتلوه.

انقسم الأمراء الترك أيام المتوكل إلى فريقين، فريق عليه الفتح بن خاقان، وفريق يترأسه وصيف وبغا الصغير الشرابي، وكان الفتح هو المقرب من الخليفة المتوكل.

واستغل وصيف وبغا خلافًا نشب بين المتوكل وابنه المنتصر، ومحاولة المتوكل عزل المنتصر وتولية المعتز مكانه، ورَفْضَ المنتصر لذلك، وسوء معاملة المتوكل له، فسعيا إلى أنْ زينا للمنتصر قتل والده، فوافق.

وأكمل وصيف وبغا اللعبة، وقتلا المتوكل والفتح بن خاقان في أوائل شهر شوال، وبايعا المنتصر، وسجنا المعتز.

وظل وصيف وبغا خلف المنتصر ينفذان ما يطلب، حتى بدأ المنتصر يندم على قتل والده، ويلوم الترك على ذلك، بل

ويشتمهم علانية، فدبرا له مكيدة وقتلاه، وَوَلَّوا عمه المستعين بالله أحمد بن المعتصم.

وبعد هذه الخطوة تحول الترك في بلاط الخلفاء العباسيين إلى مسيطرين، يعزلون من شاؤوا ويولون من شاؤوا، بل ويقتلون الخلفاء متى شاؤوا، ويضربونهم ويهينونهم أمام الناس مما قضى على هيبة الخلافة لدى الناس.

الباب الثاني:

نماذج وراثية في الدول الإسلامية التابعة للخلافة

المنصور بن أبي عامر

يعد محمد بن أبي عامر القحطاني الشخصية الورائية للحكم بن هشام "الخليفة" الأندلسي الثالث، ويعد من النماذج القليلة التي تحولت من شخصية ورائية إلى شخصية مسيطرة شبه أمامية، فشخصية أمامية غير مطلقة.

كان محمد غلامًا يطلب العلم في قرطبة، ويستعين على مصاريف الحياة بالعمل حَمَّارًا، أي ينقل البضائع على حمار له، وكان يطمح أن يحكم الأندلس في يوم من الأيام، وانتقل من مهنة الحمارين إلى مهنة النسخ، وصدف أنْ جاءته يومًا خادمة زوج الحكم بن هشام تستكتب رسالة إلى أهلها، فلما عادت رأت زوجة الحكم "صبح" خطه فأعجبت به، وصدف أنَّها كانت تبحث عن كاتب يلي أمر إحدى ضياعها، فأرسلت له، وقابل الحكم الذي أعجب به، وبدأ يرتقي في المناصب إلى أنْ أصبح قاضي أشبيلية، ثم رئيس شرطة الحكم.

وهو الذي أسس للحكم جيش الحضرة، وهو الجيش الخاص بحماية الحكم، وكان ذلك بعد حادثة الربض، إذ أنَّ أهل حي الربض ثاروا على الحكم، وحاصروا القصر، وأرادوا أنْ

يقتلوه، فاستطاع الحكم أنْ يحرق الحي ويلهيهم بالحريق، ثم حاصرهم وسجن منهم خلقًا كثيرًا.. وهذا الأمر ينسب للحكم، حيث أنَّه لم تكن وراءه شخصية ورائية تحمل عن اسمه هذا الفعل المشين، لذا فهو يعرف بالحكم الربضي.

ومحمد بن أبي عامر هو من أنشأ شرطة العِلية، وهي الشرطة التي تقوم بإلقاء القبض على الوزراء والمسؤولين، ومحاكمتهم، إذ أنَّ هذا ليس من وظائف الشرطة العادية.

وهو الذي قام على تطوير مكتبة القصر الخاصة بالحكم، ومكتبة قرطبة الكبرى، وكان يشرف عليها بنفسه، وهو الذي أخذ الوصاية من الحكم في أواخر أيام حكمه على هشام بن الحكم الذي كان صغيرًا حين أشرف والده على الوفاة، وكان هشام وليًا للعهد.

وفعلاً يموت الحكم، وتبدأ تحركات بعض أمراء البيت الأموي لعزل هشام بن الحكم، وتولية أحد الأمراء، من بني هشام بن عبد الرحمن الداخل، ويكتشف الوزراء الأمر، ويجلس المصحفي، وهو حاجب الحكم، ووزيره المقرب، يجلس عاجزًا عن فعل أي شيء، ويتولى الأمر محمد بن أبي عامر، ويأخذ فرقة من الشرطة، ويذهب للأمير، ويقتله، ويحمل رأسه

للقصر، ويعلن أنَّ هذا كان بأمر من هشام، مما زرع الرهبة في قلوب بني أمية.

وبغض النظر عن التحول الذي طرأ بعد ذلك، إذ أصبح محمد بن أبي عامر الوزير الوحيد لهشام، ثم أصبح المنصور محمد، ثم الملك المنصور، ونقل السلطة إلى يده، والخزائن إلى قصره، وسك العملة باسمه مع اسم هشام، ودعي له على المنابر مع هشام، واحتفظ بهشام كصورة للخلافة، إلا أنَّ المنصور رغم كل ذلك حافظ على هيبة الدولة وقوتها، بل وأصبح ملوك أوروبا يخشونه ويهابونه، وأرسل له ملك الدنمارك الجزية من حتف نفسه، وحسبك به أنَّه دخل ثمانين معركة ما خسر واحدة منها، وأنَّه مات محمولا وهو خارج لإحدى الغزوات.

بعد أن توفي المنصور، تولى حكم الدولة العامرية التي كانت تحت ظل الدولة الأموية عبد الملك بن المنصور، والذي كان على سيرة والده، إلا أنَّ حكمه لم يدم طويلا، لِيَلِيَ الأمر بعده عبد الرحمن بن المنصور، والذي كان أحمقًا لدرجة أنَّه هو من قضى على الدولة العامرية، بل وعلى الدولة الأموية أيضًا، حيث بدأ عهد ملوك الطوائف، ذلك أنَّ عبد الرحمن قام بإرغام هشام على توليته عهده، فكان أنْ ثار أمراء بني أمية، وثار الكثير

مـن الـولاة، وأسـسوا دويلاتهـم الـصغيرة، ويـدأوا بالاسـتعانة بالقشتاليين، وكان مصير عبد الرحمن هذا القتل.

جوهر الصقلي

أبو الحسن جوهر بن عبد الله الرومي أو الصقلي، مولى المعز لدين الله العبيدي، الذي أصبح فيما بعد المعز الفاطمي، وهو أحد قُوَّاده وأُمَرائه.

كان العبيديون مسيطرين على الشمال الأفريقي عدا مصر وشرق ليبيا، حتى توفي كافور الأخشيدي، فتنازع الأمراء الأمر في مصر، فحرَّك المعز لدين الله جيشًا قوامه مائة ألف مقاتل، على رأسه مولاه جوهر، فنزل في مصر واحتلها.

وهنا يبدأ دوره الورائي، إذ أنَّه قاس كون الفسطاط "القاهرة القديمة" ليست دار مأمن للعبيديين الإسماعيليي المذهب، حيث أنَّ الدول التي كانت تقوم في مصر كالطولونية، والأخشيدية هي التي تُمَوِّلُ الحركات الإنفصالية أو الدينية التصحيحية التي تقوم في الدولة العبيدية، فمن الطبيعي أنْ تكون الفسطاط ليست دار مأمن لهم، فأنشأ الصقلي مدينة جديدة في مصر أسماها "المنصورية".

وبدأ بإنشاء جامعة الأزهر، وكان المقصد منها تغيير مذهب مصر إلى المذهب الإسماعيلي، والغريب أنَّ جوهر كان - فيما ينقل- سني المذهب.

وحرك جوهر في هذه الفترة جيوشًا إلى الشام، والحجاز، وظل حاكمًا في هذه المناطق لمدة أربع سنوات، حتى وطّد الأمور لمجيء المعز، وقدم المعز إلى "المنصورية"، فأسماها "القاهرة".

وظل جوهر في القاهرة، ويقال أنَّه ولي الإسكندرية للفاطميين، وينقل البعض أنَّه تولى عموم الشام والحجاز، والواضح أنَّه ظل قائد قوات المعز إلى وفاته في (٣٨١هـ)، أي بعد قدوم المعز إلى القاهرة بحوالي عشرين سنة.

وهناك من ينقل أنَّ جوهر سُمَّ أو قُتِل بأمر من المعز، ولكن الأوضح أنَّه بقي حتى توفي، إذ أنَّه بقي عشرين سنة، ولو رغب المعز لَقَتَلَه قبل ذلك.

المتنبي!!

الشاعر.. أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، وهنا يُطرح سؤال: كيف يكون لشاعر دور ورائي؟! ووراء من؟ وتزيد الدهشة حين نعلم أنَّ الشخصية الأمامية كانت سيف الدولة الحمداني.

ولنرفع هذه الدهشة نقف قليلاً عند سيرة سيف الدولة ابن حمدان: حينما نذكر سيف الدولة نتخيل رجلاً منتصرًا في كل حروبه، قاهرًا لجميع أعدائه، يتحكم بجيوش لا يقف أمامها واقف، وهنا مكمن الخطأ، ونتيجة العمل الورائي.

إنَّ هذه الصورة هي التي رسمها المتنبي لسيف الدولة عن طريق قصائده، صورة القائد المظفر الذي لا يهزم، وفي الحقيقة أنَّ سيف الدولة كان قائدًا عاديًا، يُهْزَمُ وينتصر، ويفر من معارك، ويخسر مدنًا لصالح الصليبيين، ويكفي أنْ نعلم أنَّ الصليبيين دخلوا حلبَ عاصمته وحاصروا نصفها، وأنَّ ابن عمه أبو فراس سقط في الأسر عشر سنوات لا يستطيع أنْ يردَّه.

إنَّ المتنبي رسم صورة مشرقة للقائد المظفر، كان يحتاج سيف الدولة أنْ يخلِّده التاريخ بها، وحسبك أنَّه لولم يكن المتنبي وراء سيف الدولة، لماتت سيرة سيف الدولة كما ماتت سير الكثيرين ممن هم أعظم من سيف الدولة جهادًا وقتالاً، كالأمير ألب أرسلان السلجوقي مثلاً.

وكانت نهاية المتنبي عند سيف الدولة نهاية ورائية، إذ انقلب عليه بطريقة غريبة، يقال أنَّ سببها طَلَبَ المتنبي منه توليته ولاية، ويقال أنَّ السبب كان حبَّ المتنبي لخولة أخت سيف الدولة، وهذا غير صحيح.. ويقال أنَّها العنصرية.. ويقال في ذلك أسباب أخرى.

وكانت نهاية المتنبي عند سيف الدولة أنْ خرج متخفيًا من حلب إلى مصر، وإنْ كان سيف الدولة ممن اُتهِمُوا بالتورط في قتل المتنبي.

المماليك

تعد الدولة الأيوبية التي قامت في مصر على إثر سقوط دولة الفاطميين إحدى الدول التي انتهت في أوج قوتها ، وقامت لها كامتداد دولة المماليك.

كان الجيش الأيوبي منذ نشأته في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي يعتمد على طبقة من المقاتلين الأشداء ، الشرسين في القتال ، تسمى "المماليك".

وتتكون هذه الفرقة التي أصبحت الجيش فيما بعد من المماليك ، الذين كانوا يؤسرون في الحروب صغارًا ، أو يهدَوْن للسلاطين الأيوبيين ، أو يُشترى بعضهم. وكان أصلهم.. أو أصل أكثرهم من بلاد ما وارء النهر ، والأفغان ، والأكراد ، والسلاجقة ، والصقالبة ، ودول شرقي أوروبا.

وقد كان المماليك هم العماد الذي يقوِّم الجيش ، ثم تحولوا إلى قادة ، ومن ذلك إلى الوزراء ونواب الحاكم.

وكان دورهم في حرب المنصورة التي نشبت بين الصليبيين والأيوبيين في نهاية أيام السلطان نجم الدين أيوب بارزًا، والنصر الذي حققوه، ليكتشفوا بعد ذلك أنَّ القائد الأعلى كان ميتًا قبيل الحرب الفاصلة.

وبعد أنْ قدم تورانشاه بن نجم الدين إلى القاهرة، وحاول التخلص منهم حين ولي السلطنة، التفُّوا حول شجر الدر زوجة نجم الدين، والتي كان لها الفضل في إخفاء خبر وفاة السلطان نجم الدين أيام الحرب، وانقلبوا على تورانشاه وقتلوه، لتنتقل السلطة إليهم، فيكونوا هم الحكام. ويتحولون من الشخصية الورائية إلى الشخصية الأمامية في الدولة الجديدة.

العز بن عبد السلام

يعتبر سلطان العلماء الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السُلمي، المعروف بالعز بن عبد السلام شخصية ورائية للسلطان نجم الدين أيوب الأيوبي، ومِنْ بعده النظام المملوكي في مصر، إلاَّ أنَّه كان شخصية إصلاحية ورائية، همُّ إصلاحه للناس أكثر منه للسلطة، ولم يكن له ولاء لسلطان، فهو يتحدَّى السلطان، ويسمع له السلطان، وحين يتوفى رحمه الله يقف السلطان المملوكي الظاهر بيبرس وينظر إلى جنازته التي خرجت فيها القاهرة كلها فيقول: "الآن بعد وفاته أقول أنا سلطان مصر".

كان للإمام العز موقف شهير ضد الصليبيين في الشام، إِذْ أنَّه كان خطيب الجامع الأموي، وقاضي دمشق أيام حكم الصالح إسماعيل الأيوبي سلطان الشام، والذي تحالف مع الصليبيين لضم مصر إلى ملكه، وكانت تحت يد ابن أخيه الصالح نجم الدين أيوب، وأعطاهم كهدية بعض الحصون والمدن، وسمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح والطعام، فأفتى العز في خطبة عصماء بحرمة التعامل مع الصليبيين، وحرمة الصلح معهم،

وقطع الدعاء للصالح إسماعيل على المنبر، واستبدله بالجملة الشهيرة: "اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويُأمَرُ فيه بالمعروف، ويُنْهَى فيه عن المنكر".

فغضب عليه الصالح إسماعيل وسجنه، فضج الناس، فما كان من إسماعيل إلا أنْ نفاه، وفي بيت المقدس حبسه مرة أخرى بعد أن حاول أنْ يدفعه للاعتذار منه فرفض، إذ أرسل له من يزين له الاعتذار وأنْ ليس بينه وبين أن يعود إلى منصبه إلا أن يأتي ويُقَبِّل يد السلطان، فضحك العز وقال: "يا مسكين، والله ما أرضى أن يُقَبِّلَ الصالح إسماعيل يدي فضلاً عن أن أُقَبِّلَ يده، يا قومُ أنا في واد، وأنتم في واد آخر، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به". وظل محبوسًا حتى دخلت الجيوش المصرية بيت المقدس.

العز ونجم الدين الأيوبي

لما وصل العز إلى مصر قرَّبه السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وولاه القضاء، ظنًا منه أنَّه بذلك يشتري الرجل، إلا أنَّ العز درس مصر، وعرف مواطن الضعف فيها، وبدأ حملة الإصلاح مبكرًا.

إذ يُذْكَر أنَّ موكب الصالح نجم الدين كان في الطريق بين القصر ودار السلطنة، فما راعه إلا صوت ينادي بغضب: "يا أيوب"، باسم السلطان المجرد من الألقاب والحلي، وكان هذا مستحيلا في مثل هذه السلطنات، فلما كان المنادي الإمام العز، نزل السلطان عن موكبه وقال له: "نعم يا إمام"، فقال له إنَّ مملوكك فلانً (وكان هذا المملوك من الوزراء) قد احتكر الطحين عن الناس، فاكسر احتكاره"، وفعلا كسر السلطان احتكار المملوك، ووعظه الإمام بكلام قاس، فكان أوَّل ما لحِظه الإمام احتكار المماليك لبضائع الاحتياجات الأولية، وكأنَّه لحِظ أنَّ كسر كل هذه الاحتكارات أمر صعب.

ولحِظ أيضًا أنَّ المماليك يتصرفون بحرية في البيع والشراء والاستملاك، وهم مما ليك للدولة، والأصل أن لا حق للمملوك في ذلك، فهو وماله لمالكه، فأصدر فتوى بعدم صحة ملكية أمراء المماليك، وأنَّ متاجراتهم لا تتم، مما أغضب الأمراء، فشكوه للسلطان، فلما لم يمضِ السلطان فتْوى قاضي القضاة الإمام العز، عزل نفسه من القضاء ورحل عن مصر إلى الشام، فتبعه أهل مصر كلهم، مما اضطر السلطان لأن يلحقه ويسترضيه ويعيده، ويمضي ما أمر به.

وفعلاً عَقَدَ مزادًا لبيع المماليك، فكان يقف المملوك بعد أنْ تُرَدُّ أملاكه لخزينة الدولة، ويُزايَد عليه، ويقف السلطان ليشتري الأمراء ويعتقهم، ولعل من أهم الحوادث ما كان لأحد أمراء المماليك الظلمة، الذي ظل أحد التجار المصريين يزيد في سعره على السلطان ليشتريه فيذله، ولكن السلطان طلب من المصري طلبًا أن يتركه له، ورد للمصري حقه منه.

ويموت نجم الدين، وتكون فتنة تورنشاه، وتحكم شجر الدر، فيقود العز معارضة شديدة لحكمها، ويكون له يد كبرى في أنْ تنحَّت وولَّت الأمير عز الدين أيبك مكانها، إذ أنَّ السلطة المطلقة لا يجوز أنْ تكون في يد امرأة.

العز والمظفَّر قطز المملوكي

بعد تولي أيبك للسلطنة ظنَّت شجر الدر أنَّه سيكون مجرد صورة، إلاَّ أنه كان سلطانًا حقيقيًا، فدبرت شجر الدر اغتياله، ولم تعش بعده طويلاً إذ قُتلت هي الأخرى، فظل في كرسي السلطنة علي بن أيبك، الطفل المختل عقليًا، ويصل في تلك الفترة التتار إلى أبواب مصر، إذ أسقطوا بغداد عاصمة الخلافة، ودمشق ومدن الشام، فما كان من قاضي القضاة إلا أنْ جمع

الوجهاء والأمراء، وشرح لهم الموقف، وقرروا تنحية علي بن أيبك، وتعيين الأمير قطز المملوكي.

بدأ قطز بالتجهز لمواجهة التتار، فرفع الضرائب على الناس، فما كان من العز إلا أنْ وقف في وجه ذلك، وأفتى بأنْ لا تجمع الضرائب من الناس إلا في حال أخذت من الأمراء أولا، فإذا فرغ بيت المال، وفرغت خزائن الأمراء، أخذت من الناس، وفعلاً كان ذلك.

وشارك العز في الحرب، وشارك في النصر، وعاد مع المنتصرين إلى مصر، وحضر واقعة قتل السلطان، وتولية الظاهر بيبرس، وتذكر بعض المصادر أنَّ الإمام قام بتصفية أخرى لأمراء المماليك في عهد الظاهر بيبرس، وباع المملوكين منهم مرة أخرى، ومن المذكور أنَّ الظاهر بيبرس كان من أشد الحكام وأكبرهم هيبة، إلا أنَّه كان ينزل عند أحكام الإمام، وقد ذكرنا جملته الشهيرة التي قالها حين توفي الإمام.

ولا نعد الإمام رجلا ورائيًا للظاهر بيبرس أو أيبك، إذ أنَّ الإمام كان على مواجهة شرسة مع الرجلين، يحسمها في الأغلب موقف الدين والوجهاء والناس إلى صف الإمام.

الخاتمة

إنَّ هـذه النمـاذج هـي مقتطفـات مـن قائمـة طويلـة بالشخصيات الورائية في التاريخ ككل، فمن المهم أنْ نعرف أنَّ الشخصيات الورائية لم تكن مقتصرة على العالم الإسلامي، بل هي موجودة في كثير من الدول، ولدى كثير من الشعوب، إلا أنَّ الموروث الإسلامي هو الأقرب إلى معارفنا، وهو الأوضح لنا.

وكما لاحظنا، فإنَّ الشخصية الورائية لم تقتصر على الملوك والدول، بل كانت تخدم حتى الأنظمة، كما كان المختار بن أبي عبيد، ولمسنا تخطي الشخصية الورائية لنطاقها، مما يعجل بسقوط الدول، كما في حالة الدولة العامرية، وكافور الإخشيدي في مصر.

وأتمنى أنْ تكون النماذج التي تطرقنا إليها أوضحت ما أعنيه بالشخصية الورائية، وما هذا الكتاب إلا عجالة حول الموضوع الذي أتطرق إليه لأول مرة.

هذا والإنسان رهين الخطأ، فإنْ أصبت فبتوفيق الله، وإنْ أخطأت فمن نفسي والشيطان، وما توفيقي إلا بالله.

علي عبد الله الأنصاري

الدوحة:

الأربعاء:

٢٩/ذي القعدة/١٤٢٧ هجرية

٢٠/ديسمبر/٢٠٠٦م

المراجع:

المراجع والمصادر المقروءة:

- القرآن الكريم

التاريخ

- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير.
- كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، لعبد الرحمن ابن خلدون.
- البداية والنهاية، لابن كثير.
- تاريخ الأمم والملوك، للطبري
- التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر.
- السيرة النبوية، د. علي محمد الصلابي.
- الدولة الأموية، د. علي محمد الصلابي.
- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، د. علي محمد الصلابي.
- نظرات في تاريخ الدولة الإسلامية الكبرى، علي عبد الله الأنصاري (مخطوط).

التراجم والسير

- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني
- الوافي بالوفيات، للصفدي.
- فوات الوفيات، للكتبي.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان.
- الأعلام، للزركلي.
- الحجاج بن يوسف المفترى عليه، د. محمود زيادة

كتب الأدب

- الأوائل، لأبي هلال العسكري.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري.
- إعلام الناس بما وقع للبرامكة، للإتليدي.
- الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني.

المصادر المسموعة:

- قصص من التاريخ، د.طارق السويدان.
- التاريخ السياسي للدولة العباسية، د. أحمد يوسف الدعيج
- عظماء من بلاد الإسلام، د. محمد موسى الشريف.
- الأندلس من الفتح إلى السقوط، د. راغب السرجاني.

المصادر الإلكترونية:

- برنامج الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي في أبوظبي.

- موسوعة ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت:
(http://ar.wikipedia.org).

المحتويات

رقم الايداع بدار الكتب القطرية
٧٠٩ / ٢٠٠٧ م
الرقم الدولي (ردمك) : ٩٩٩٢١ - ٦٠ - ٤٢ - X

مطابع الدوحة الحديثة المحدودة

التاريخ بحر محيط لا يسبر أغواره إلا مغامر. فهو -كما يقول كاتب هذا الكتاب- أكبر مادة للصدق.. وأكبر مادة للكذب في آن واحد. لذا كان حقًا أنْ نقول لذلك المغامر: لله درك. احتملت أصعب المهام. وشققت لنا أصعب الطرق. لتكون من بعدك ممهدة للمبتدئين.

إنَّ من أكثر المواضيع إثارة للجدل في دراسة التاريخ تحليل الظواهر الإنسانية. وتحويلها إلى أنماط عامة. تعطينا مؤشرات للتعاطي مع الحياة عمومًا. وفي هذا المؤلَّفِ يجد القارئ نظرية جريئة لتفسير جانب من نشأة الدول والحضارات والأنظمة.

الشخصية الوراثية محاولة جادة ناضجة للتعرف على نمط آخر من أنماط القيادة. نمط ليس كالذي نعرفه. بل هو انقلاب على نظريات القيادة التقليدية. فهو يطرح فكرة أن لمعظم الأنظمة أو الدول أو الحضارات الناشئة شخصية.. أو شخصيات.. دون تلك الرئيسة. هي التي يقوم عليها إنجاح مشروع تلك الدولة أو ذلك النظام. بعد أن يشرح الكاتب في الفصل الأول فهمه لهذه النظرية وأبعادها. من خلال تعريف الشخصية الوراثية. والتَّعَرُّف على سماتها.. وخصائصها. يسوق لنا أمثلة مستوحاة من التاريخ الإسلامي للشخصية الوراثية. هي -على أقل تقدير- جامعة لأصناف شتى من هذه الشخصية. وأحسن الكاتب في تقديري أن تنقل بين أشكال الشخصية الوراثية بوعي وحرفية. ليعطي القارئ صورة بانورامية عن فكرته. فتجده يذكر الحجاج بن يوسف إلى جوار المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. إلى جوار سلطان العلماء العز بن عبد السلام. ورجاء بن حيوه رحمهما الله.

هذه -ولا شك- تجربة أولى في التنقيب عن فكرة الشخصية الوراثية. وعلى ما فيها من دقة وإتقان فإني أرجو أن تكون بابًا إلى نمط جديد في دراسة مبحث نشأة الدول. لا يكتفي بتمجيد الشخصيات الرئيسة.. ولا يرجع إليها كامل الفضل. بل يبحث في الدهاليز والطرق الخلفية ليتعرف على عوامل النجاح الحقيقية لهذه التجارب الإنسانية.

الشخصية الوراثية الإصدار الأول في «سلسلة نظريات في القيادة» والتي نعتزم أن تكون سلسلة حرة من التقليد. تتعرف على كُنْهِ التجربة القيادية وحقيقتها وعوامل نشأتها وتطورها. ولعله من المفارقة أن يكون الإصدار الأول خروجًا على نظريات القيادة. ومراجعةً لها. ولكن مثل هذه الأفكار الجريئة والخلاقة هي التي نريد أن نعيش معها في هذه السلسلة. ليتحقق بذلك الهدف منها وهو الإلمام بتجربة القيادة من كافة جوانبها وتقديمها للقارئ.

ماجد محمد الأنصاري
رئيس نادي قمم



